قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا
وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ

تيار الوفاء الإسلامي
Al-wafa'a islamic party | Bahrain

آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود
الموضوع: بحث تاريخي مختصر
إعداد والتنسيق: تيار الوفاء الاسلامي
القطع: رقعي / ٩٠ صفحة
الطبعة: الثانية سنة ٢٠١٧ م

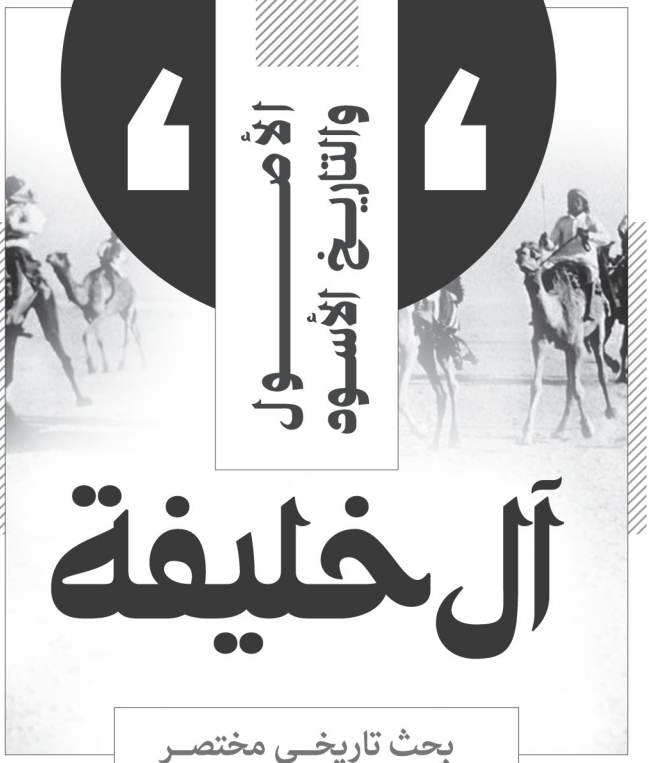

آل خليفة

الأصول والتاريخ الأسود

بحث تاريخي مختصر

تيار الوفاء الإسلامي
Al-wafa'a islamic party | Bahrain

الفهرس

المقدمة ٧
للتّأريخ ميزتان: ٩
الأولى: المنتصر هو من يكتب التّاريخ ٩
الثّانية: الحفاظ على الحقوق وتسجيل المظالم. ١٠

الجزء الأول

سبب التّسمية: ١٦
موطن العتوب وأصل منشئهم: ١٧
من هذه الوثائق: ٢٠
ويمكن تفسير انتساب بقية العشائر إلى قبيلة العتوب في تفسيرين: ٢١
الهجرة إلى شرق الجزيرة العربيّة وأسبابها: ٢٣
إلى قطر: ٢٥
أسباب رئيسيّة لاختيار قطر محطة للإقامة: ٢٦
بعد قطر إلى أين؟: ٢٧
الهروب إلى البصرة: ٣٠
إلى الكويت: ٣٤
إلى الزبارة: ٣٥
احتلال البحرين: ٣٩
سكّان البحرين: ٤٠
الإيرانيّون يطردون البرتغاليّين من البحرين حوالي سنة ١٦٠٢م: ٤٣
إيران تحتلّ البحرين لفترة غير واضحة التّاريخ: ٤٣

احتلال إمام عمان للبحرين ١٧١٨م: ٤٤
سيادة عرب الهولة على البحرين ١٧١٥ - ١٧٥٣م: ٤٤
ضمّها لإيران حوالي سنة ١٧٥٣م: ٤٤
وكيل شيراز وعائدات البحرين ١٧٥٥ - ١٧٦٧م: ٤٥
أحداث في البحرين ١٧٥٧ - ١٧٨٣م: ٤٥
العتوب يغزون البحرين ١٧٨٢م: ٤٦

الجزء الثاني

محطات تاريخية مهمة: ٥٤
عام ١٨١٤م: ٥٥
عام ١٨١٦م: ٥٥
عام ١٨٢٠م: ٥٦
يناير ١٨٢٣م: ٥٧
عام ١٨٣٣م: ٥٨
عام ١٨٣٦م: ٥٨
عام ١٨٤٠م: ٥٩
عام ١٨٦١م: ٦١
١٣/ مارس/١٨٩٢م: ٦٧
جرائم الخليفيّين بحق الشّعب: ٧٠
بعض جرائم إبادة الخليفيّين: ٨١
وقعة كربلاء: ٨٢
مذبحة السّادة ووقعة بربورة: ٨٣
وقعة حلة السّيف: ٨٤
وقعة مأتم الفارسيّة: ٨٦
وقعة الفارسيّة الأخيرة: ٨٧

المقدمة

يُعتبر التاريخُ مرآةً تعكسُ عراقةَ الشعوب، ومرجعًا لأخذ العبر والدّروس، ومنه تُعرَف ثقافات الأمم وأطباع النّاس؛ لأنّه من عرف جنسه عرف نفسه، ويتحدّث التّاريخ عن واقعٍ موروثٍ بين جنبات الأقوام، إمّا واقعٌ ناجحٌ عظيمٌ يُكوّن حوافز ويبُثّ قيمًا في الأجيال المتعاقبة، أو واقعٌ فاشلٌ تحاول أن تتجنّبه هذه الأجيال. كما يشكّل التّاريخ مصدر إلهامٍ رئيسيٍّ لعمل الإنسان وإبداعه وتضحياته، ويدفعه للانتصار للخير ومناهضة الشرّ.

للتّأريخ ميزتان:

الأولى: المنتصر هو من يكتب التّاريخ

من يقرأ في التّاريخ يلاحظ أنّ أكثره قد كُتِبَ في دواوين الملوك والحكّام وبأيادي مؤرّخين استأجروهم لأنفسهم، وبالتّأكيد من سيكتب عن تاريخ نفسه أو عصره سيُظهِر نفسه وقومه بالصّفات الكريمة والفضائل المحمودة، ويتجنّب كل ما يمكن أن يخدش في سمعته وإن كان ذلك واقعًا متحقّقًا، بل وكثيرًا ما قد ينسب له ما ليس فيه، ويضع نفسه في مواقع الطيّبين والصّالحين.

لذلك يتحوّل اليوم فراعنة مصر المتجبّرين الذين حكموا النّاس بالحديد والنّار واستأثروا بخيرات الأرض لأنفسهم، بل وتسلّطوا على رقاب النّاس مدّعين ولايتهم عليها، أولئك المجرمون يتحوّلون اليوم إلى أبطالٍ قوميّين ورموز تقدمٍ وحضارةٍ!! لماذا؟ لأنّ

التّاريخ الذي وصلنا عنهم هو ما كتبوه هم بأنفسهم، فأثبتوا وحرّفوا ما أرادوه وغيّبوا ما لم يريدوه. وإن كان مثال الفراعنة من العصر القديم حيث سهولة التّحريف والتّزوير، فأمريكا مثال حديث، أمريكا التي أبادت شعبًا كاملًا واستعبدت شعوبًا أخرى تراها تُصوِّر تاريخها حافلًا بالإنجازات وتُظهِر رموز ذلك العهد كالأساطير وتطبع صورةً ذهبيةً لامعةً عن تاريخهم الأسود في عقول الأجيال المتعاقبة.

الثّانية: الحفاظ على الحقوق وتسجيل المظالم.

يمكن الاستفادة من التّاريخ في الحفاظ على حقوق النّاس والشّعوب وعدم ضياعها بين فترات قصيرة من الزّمان، بل إنّها تُورَّث إلى الأجيال القادمة حتى تُؤدَّى إلى أهلها، وكما يُقال فإنّ الحقّ لا يسقط بالتّقادم. لو لم يُدوِّن التّاريخ حقّ الفلسطينيّين في أرض فلسطين لضاعت القضيّة الفلسطينيّة اليوم، ولو لم يّسجِّل التّاريخ هوّيات من قتل الإمام الحسين (عليه السلام) لما خرجت ثورة المختار الثّقفي أو التّوابين وغيرهما.

يحاول آل خليفة في البحرين تزوير التّاريخ (تاريخهم وتاريخ البحرانيّين الأصلاء) وتغييب حقوق شعب البحرين الأصيل، لذلك دائمًا ما يحاولون التّرويج لأمجادٍ زائفةٍ وبطولاتٍ وهميّةٍ

من خلال المؤرّخين المأجورين والإعلام الأصفر، فيدّعون شرف النّسب، وحُسن الموطِن والأصل، والشّجاعة والإقدام، وليس لهم سندٌ في هذا الادّعاء إلّا التّزوير والكذب.

كُتب هذا الكتيب المختصر لبيان وفضح التّاريخ القاتم لآل خليفة، وقد أُعتمد في كتابته على مصادر تاريخيّةٍ مقبولةٍ لدى الجميع، حيث حُشيَت كثيرٌ من مقاطع هذا الكتيّب بما يعين القارئ على الرّجوع إلى المصادر والتوسّع أكثر.

في طيّات هذا الكتيّب الصغير ستكتشف -عزيزي القارئ- أنّ من يحاول التّشكيك في أصول البحارنة أصوله شبه مجهولة، ومن يدّعي حُسن الموطن قد طُرد من أكثر شعوب الخليج بل ومن أبناء عمومتهم، من يدّعي الوطنيّة قد سلّم البحرين لأكثر من مستعمر، وستقرأ كذلك في جرائم -وثّقها حلفاء لهم- يندى لها الجبين ولا يقبلها سليم فطرة.

الجزء الأول

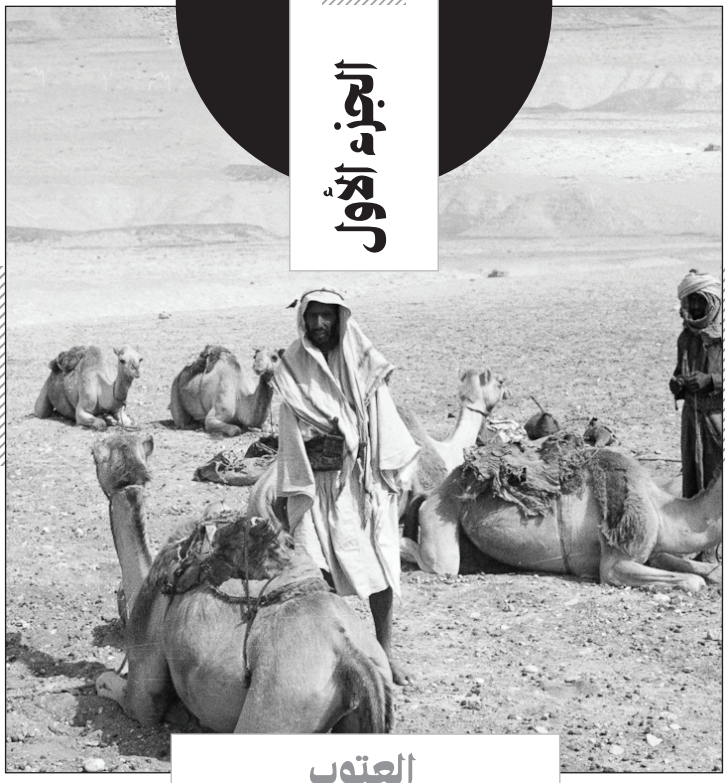

العتوب

عند الوقوف على تاريخ آل خليفة والعتوب يتعجّب الباحث مما يقرأه، ليس لأن تاريخهم زاخر بالأحداث الغريبة فقط؛ بل لأنّ ما يُظهرون به أنفسهم في الإعلام وأمام العالم اليوم يختلف تمامًا عمّا هو في الواقع، وما يُروجون له من تاريخٍ مزيّفٍ بعيدٌ كلّ البعد عن تاريخهم الأسود. فمن الاختلاف في نسبهم وفي موطنهم إلى أصل منشأهم يرى الباحث التباينات الواضحة التي تثير الريبة والشكّ في أصولهم، وينبثق سؤالٌ كبيرٌ تتبعه ألف علامة تعجّبٍ في ذهن هذا الباحث: من هم الخليفيّون واقعًا؟!!!.

ومما يشدُّ الانتباه أكثر هو السّلوك العدوانيّ وأحيانًا العبوديّ الذي اتّخذه هؤلاء القوم تجاه شعوب وقوى المنطقة بل وحتى تجاه أبناء عمومتهم وعشيرتهم، وهو سلوك نابع من خلفيّةٍ قبليّةٍ بحتةٍ يحكم فيها القويُّ الضّعيفَ ويسود فيها القتل والسّرقة والاغتصاب بمحرّكات الطمع والكبر والسّلطة. ومن المفارقات

العجيبة هو افتخار هذه القبائل المتخلّفة اليوم بما يسمّونه أمجاد أجدادهم، ولم يكن لأجدادهم إلّا الهمجيّة والقبليّة وطرد النّاس لهم من منطقة لأخرى.

العتوب تسميةٌ تُطلق على مجموعة من العوائل في شرق الجزيرة العربيّة ومنهم آل خليفة وآل صباح وآل جلاهمة وآل بن علي.

سبب التّسمية:

توجد عدّة أقوال في تسمية العتوب بـ«العتوب» حيث تُشير بعضها إلى أنّهم ينحدرون من بني عتبة[1]، وترى البعض الآخر أنّ العتوب أخذوا هذا الإسم من إحدى القبائل التي انضمت إليهم[2]، في حين تشير معاجم اللّغة العربيّة أنّ معنى الفعل «عتب» الذي أُخذت منه كلمة العتوب يعني كثرة التّرحال وقد أطلقت هذه التّسمية عليهم بعد ارتحالهم شمالًا نحو الكويت كما يدّعي أمير الكويت سابقًا عبدالله بن سالم الصباح[3] إلاّ أنّ الحقّ يُقال؛ أنّ هناك دليلين ينقضان السبب الأخير:

١. عثمان بن سند، سبائك العسجد ص١٨

٢. تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ج١ ص٣٢١-٣٣٦

٣. الكولونيل ديكسون، الكويت وجيرانها ص٢٦-٢٧

١. الفعل (عتب) يعني الارتحال والتنقّل ومن دون الإشارة إلى الجهة، فقد يكون الارتحال للشّمال وقد يكون للجنوب، كما تؤيّد ذلك المعاجم اللغويّة.

٢. الشّيخ يوسف البحرانيّ (المتوفّى في ١٧٧٢م) في كتابه لؤلؤة البحرين أشار لهذه المجموعة من القبائل بإسم (العتوب) حين كان يتحدّث عن واقعةٍ وقعت سنة ١٧٠٠م، ومفاد هذه الحادثة أنّ العتوب هاجموا البحرين فاستنجد شيخ الإسلام في البحرين بالهولة الذين جاؤوا وطردوا العتوب[1]. ومن المعروف تاريخيًّا أنّ العتوب لم يخرجوا من الكويت ويهاجموا البحرين. بل قدموا من الزبارة في سنة ١٧٨٢م، وهذا يعني أنّ الهجوم الأوّل والذي تشيرإليه الحادثة المذكورة كان قد وقع قبل الانتقال للشّمال ممّا يعني أنّ اسم العتوب أُطلق عليهم قبل رحيلهم للشّمال.

ومهما يكن من سببٍ للتّسمية فإنّ هذا البحث مما لا ينفع كثيرًا.

موطن العتوب وأصل منشئهم:

١. الشيخ يوسف البحراني، لؤلؤة البحرين ص٤٢٥

ينحدر العتوب -وفق المشهور- من سلالة عنزة التي تنحدر من أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[1]، وهناك من يرى أنّ العتوب فرعٌ من عشيرة «الدهاشمة» المتفرّعة من عشيرة «العمارات» أبناء تغلب بن وائل[2]، وعلى كلٍّ فإنّ بنو عنزةٍ تنقسم إلى أفخاذٍ كثيرةٍ منها جُميلةٌ بالضمّ، بدورها جُميلة تنقسم إلى فصائلٍ أشهرها بنو عتبة ومنها تأتي عشيرةُ آل خليفة[3]، لكنّ آل بن علي يدّعون أنّ العتوب هي قبيلةٌ واحدةٌ وليست حلف قبائل، ولقب «العتبي» يختصُّ بهم دون آل خليفة وآل صباح وآل جلاهمة مستندين في دعواهم على عدّة أسباب:

١. امتلاكهم لوثائق تملُّك نخيلٍ وشراءُ أراضٍ تذكرُ لقبَ «العتبي» في آخر أسماءِ من هو منتسبٌ لآل بن علي، وعدم وجود وثيقةٍ واحدةٍ تذكر هذا اللّقبَ عند من ينتمي لآل خليفة أو الصباح أو الجلاهمة، فضلًا عن وجود وثائق شراء نخيلٍ بين أحد أبناء آل بن علي وأحد أبناء الجلاهمة تذكر في إسم الأوّل لقب «العتبي» ولا تذكر ذلك في إسم الآخر.

١. محمد النبهاني، التحفة النبهانية ص١١٨

٢. سيف الشملان، صفحات من تاريخ الكويت ص١٠٤

٣. محمد النبهاني، التحفة النبهانية ص١١٨

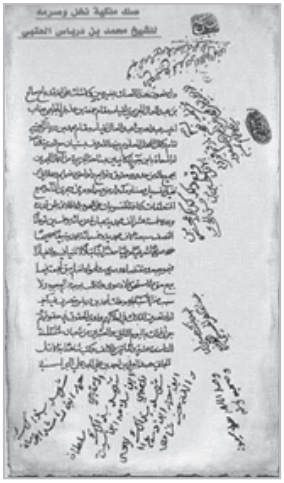

وثيقة شراء نخيل لأحد أفراد آل بن علي

٢. بنو عتبة قبيلةٌ معروفةٌ من بني سليم نسبةً إلى شخصٍ اسمه عتبة بن رياح السلميّ وليس من كلمة عتب أي ارتحل وانتقل. قال ابن خلدون: إنّ العتبيّين هم من يُنسبون إلى عتبة بن غزوان السلميّ. «عتبة» اسم يطلق على الأشخاص ولا يدخل في تصاريف الفعل واشتقاقات المصدر. وهم بطنٌ من خفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

٣. آل خليفة وآل صباح والجلاهمة أبناء عمومة وهم من

قبيلةٍ واحدةٍ وهم من الجُميلات من بني وائل وليس من بني عتبة من قبيلة بني سليم. كما أنّ أغلب الوثائق الانكليزيّة والتركيّة القديمة تذكرُ اسم قبيلة العتوب وليس حلف العتوب.

من هذه الوثائق:

جاء في موسوعة «دليلُ الخليجِ» لكاتبه لوريمر[1]: آل بن علي المعروفين بالعتوب هي إحدى كبريات القبائل العربيّة الكثيرة العدد إلى حدٍ ما، ولهم علم يسمى: السليميّ، كما أنّ للقبيلة اسمًا آخرًا هو العتبيّ. وهناك مراجع تدّعي أنّ آل بن علي ينتسبون إلى عنزة وقحطان وبني تميم، وكلها قبائل من نجد والحقيقة أنّهم من قبيلة العتوب التي تنحدرُ من قبيلة بنو سليم الحجازيّة.

مقطع من مذكرة وزير الخارجيّة المؤرّخة في ١٨٧١/٧/١٩م (Precis Of Turkish Expansion On The Arab Littoral Of The Persian Gulf And Hasa And Katif Affairs. By J. A. Saldana; ١٩٠٤، I. o. R R /١٥/١/٧٢٤.):

ستجدون أنّه في فترةٍ مبكرةٍ تصلُ إلى عام ١٨٢٧م ومتأخّرةٍ تصل إلى عام ١٨٥١م، جرى وصف تلك المنطقة على أنّها إحدى

١. لوريمر، الجزء الجغرافي ص٨٣-٨٤

ملحقات البحرين، لست أعلم ما إذا بقيت كذلك حتى الآن أم لا، ولكن في كل الأحوال لا نعلم هنا شيئًا يناقض ذلك، عيسى بن طريف آل بن علي العتبيّ الذي استقر مع قسم من قبيلته العتبيّ (العتوب) هناك، هو حفيدٌ ينحدرُ من أحد فاتحيّ البحرين العتبيّين الأصلاء. تذكرون أن العائلة (الحاكمة) في البحرين حاليًا قدمت في الأصل من الكويت، وربّما من هذا المنطلق يحاول الأتراك بسط سيادتهم ونفوذهم على البحرين.

ويمكن تفسير انتساب بقية العشائر إلى قبيلة العتوب في تفسيرين:

١. ذكرنا أنّ البعض يرى أنّ العتوب أخذوا هذا الاسم من إحدى القبائل التي انضمت إليهم، فلعلّه انضمت قبيلة آل بن علي إلى بقيّة العشائر المذكورة وعمَّ لقب العتوب الجميع.

٢. تَعَمُّدُ آل خليفة وآل صباح وآل جلاهمة نسب أنفسهم إلى قبيلة العتوب؛ لأنّها قبيلةٌ كانت معروفةً وقويّةً من أجل مصالح سياسيّة وسياديّة.

وعلى كلٍّ فإنّ آل بن علي لا زالوا يسردون القصّة بشكلٍ مختلفٍ تمامًا ومن أحبّ التعرّف على التّفاصيل فليراجع مخطوطة راشد بن فاضل البنعلي (مجموع الفضائل).

إنّ مشهور الرّوايات والمراجع تتحدّثُ عن أساطير هجرة العتوب من نجد فقط وهذا ما نراه كثيرًا من المؤرّخين الجدد الذين تبنّوا رأي إبراهيم بن محمد آل خليفة حول موطن العتوب حيث ذكر أنّهم هاجروا من (الهدّار) من بلدان (الأفلاج) وسط الجزيرة العربيّة[1]، لكن لو دقّقنا النّظر فإنّنا نرى أنّ تاريخ العتوب بالنّسبة لنا يبدأ من نجد ولا يُتعرض لأصل منشئهم، فمن أين جاء العتوب قبل أن يسكنوا صحراء نجد؟!. لن تستطيع العثور على إجابةٍ واحدةٍ لهذا السّؤال؛ لأنّه عند الرّجوع إلى الوثائق والمراجع ترى الاختلاف في الأقوال الموروثة عن أصل منشئهم، فمنهم من يُرجِعُ أصولهم إلى الحجاز، ومنهم من يرجعها إلى خيبر ومنهم من يرجعها إلى نجران[2]، والعجيب أنّ لكل فريقٍ منهم استدلال.

جاء في تقرير الوالي مدحت باشا[3] الذي زار الكويت عام ١٢٨٨هـ النص التالي:. . . وهؤلاء العرب من الحجاز وكانوا قد أتوا إلى هذه البقعة هم وجماعة من مطير، وواضع أوّل حجرٍ في تلك البلدة (الكويت) رجلٌ اسمه صباح.

وقال مؤرّخ البلاط الخليفيّ النبهانيُّ أنّ أسلاف عنزة التي

١. محمد النبهاني، التحفة النبهاني ص١١٩

٢. عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت ص٣٣

٣. سيف مرزوق، من تاريخ الكويت ص١١٢

تنتمي إلى العتوب: «أقاموا هنالك -يقصد خيبر- وورث ديارهم غزية من طيء»[1].

الهجرة إلى شرق الجزيرة العربيّة وأسبابها:

اعلم أنّ هذه القبائل المهاجرة التي سمّيت بالعتوب لاحقًا، كما لم يتّفق المؤرّخون على نسبها، اختلفوا في أسباب قدومها إلى الخليج ومتى وأيّ طريق سارت عليه[2]. فمن الباحثين من يُرجِعُ ذلك إلى المجاعة أو الجفاف الذي أصاب أواسط شبه الجزيرة في منتصف القرن السّابع عشر وأوائل القرن الثّامن عشر حيث اضطرّ العتوب وغيرهم من القبائل للهجرة بسبب الجفاف[3]، البعض الآخر من الباحثين يُرجِعُ سبب الهجرة للفتن والنّزاع الذي وقع بين العتوب وأبناء عمومتهم من بطن (جميلة) من عنزة[4].

وقد كانت تعتبر مناطق شرق الجزيرة العربيّة آنذاك من أغنى مناطق الخليج لما تحويه من موانئ تجاريّةٍ ولانتفاعها من

١. محمد النبهاني، التحفة النبهانية ص١١٧

٢. من المفارقات العجيبة في الخليفيّين أنّهم يتّهمون أبناء الشّعب الأصليّين في هويّاتهم ويستميتون في إنكار بحرانيّتهم، على الرّغم من أنّهم أنفسهم أصولهم مجهولة فضلًا عن موطنهم

٣. أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث

٤. عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت ص٣١-٣٢

الصّيد والزّراعة بسبب تواجد اللّؤلؤ والأسماك وخصوبة الأرض وكثرة الزّرع والنّخيل، ممّا جعلها دومًا محطًّا لأطماع قبائل نجد ولممثّلي شركة الهند الشرقيّة الاستعماريّة الانكليزيّة الذين كاتبوا حكومتهم بضرورة احتلال البحرين على الأقل مرّتين كما تشير لها الوثائق التاريخيّة، مرةً عام ١٧٠٠م ومرةً عام ١٧٥١م[١]، لكن قوبلت هذه الطّلبات بالرّفض لأنّها لم تكن تتوافق مع الخطّة المرسومة للسّيطرة التامّة على التّجارة في الخليج عبر إضعاف حكّامها أولًا وتنصيب أعوانٍ لها ثانيًا، وهذا ما يدفع للاعتقاد أنّ من الأسباب التي دعت العتوب للهجرة إلى شرق الجزيرة العربيّة بدايات القرن السّابع عشر هو إغراء حكومة إنكلترا لهم وتطميعهم في هذه المنطقة، وممّا يدعم هذا القول هو ما ذكره مؤرّخ البلاط الخليفيّ محمّد النبهانيّ حول سبب هجرة خليفة: «كان القصد منها حبّ الاستقلالِ والسّعي وراء تشييد مملكةٍ يكون هو ملكها»[٢]، وقول المؤرّخ عبدالعزيز الرّشيد في كتابه تاريخ الكويت: «من المحتمل أن يكون السّبب الوحيد هو كبر نفوسهم وطموحهم إلى الاستقلال بالحكم»[٣].

١. لوريمر، تاريخ الخليج ص١٢٧٠

٢. محمد النبهاني، التحفة النبهانية ص١١٩

٣. عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت ص٣٤

وكذا لو لم تكن المطامع الماديّة هي ما شدّتهم للهجرة إنّما القحط والجفاف فقط فإنّ سؤالًا عريضًا يواجههم وهو: لماذا لم يهاجروا إلى مناطق الأحساء الغنيّة بالنّخيل والواحات والعيون وهي الأقرب إلى نجد؟!.

إلى قطر:

يرى بعض الباحثون أنّ بداية هجرة العتوب كانت بين عامي ١٦٧٤ - ١٦٧٦م نظرًا لاشتداد القحط والجراد في هذه الفترة في نجد[١]، وهناك من يرى بأنّ هجرتهم بدأت مع بدايات القرن الثّامن عشر بالتّحديد عام ١٧١٠م[٢]، لكن على ما يبدو أنّهم قد وصلوا

١. عنوان المجد، ج١ ص٢٣٥

٢. أبو حاكمة، تاريخ شرقي الجزيرة العربية ص٤٥

في النّصف الأوّل من القرن السّابع عشر؛ لأنّ سنة طردهم من قطر كانت ١٦٧٦م وهم قد أقاموا فيها من قبل ما لا يقلّ عن ٣٠ سنة، ولعلّ السّبب في اختلاف تاريخ هجرتهم ومحاولتهم طمس بعض ملامحه هو لإخفاء بعض الأحداث سنتعرّض لبعضها لاحقًا.

أسباب رئيسيّة لاختيار قطر محطة للإقامة:

١. وجود (آل مسلم) في قطر، فالظّاهر أنّ العتوب كانوا يتوقّعون قبول آل مسلم بهم وهو ما حدث بالفعل حيث نزلوا ضيوفًا عندهم.

٢. قربها من مغاصات اللّؤلؤ وصيد الأسماك، وكونها طريقًا تجاريًّا بين الهند والخليج، ممايُتيح تكوين ثروةٍ ماديّةٍ لهم.

٣. قرب قطر من البحرين، حيث يمكن اعتبار الأولى أفضل نقطة يمكن الانطلاق منها للاستيلاء على الثّانية. وهذا ما حدث بالفعل سنة ١٨٧٣م.

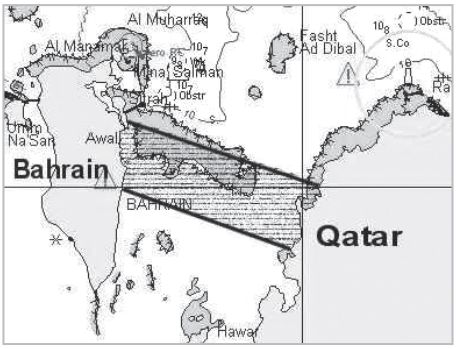

أثناء تواجد العتوب في قطر عزفوا على التّفاعل مع بيئتهم الجديدة وترويض أنفسهم على ركوب البحر والغوص على اللّؤلؤ ومشاركة غيرهم من أبناء الخليج في عمل النّقل البحريّ (القطاعة) والغوص.

أمّا سبب رحيلهم من قطر فلأنّ رجلًا من العتوب قتل رجلًا من أهل قطر، فحلَّ عليهم غضب حكّامها الذين خشوا استفحال أمرهم وزيادة تعنّتهم لذلك طلبوا منهم تسليم القاتل أو مغادرة قطر. فركبوا سفنًا شراعيّةً وساروا شمالًا عبر البحر سنة ١٦٧٦م.

بعد قطر إلى أين؟:

على ما يبدو أنّ القبائل المطرودة من قطر عام ١٦٧٦م توزّعت على طول الشّواطئ الشرقيّة للخليج الفارسيّ، فمنهم من سكن مناطق في فارس ومنهم من سكن ميناء جزيرة قيس وبندر ديلم[1] ثم عادت القبائل المطرودة للتجمّع من جديدٍ في الكويت عام ١٧١٦م كما يصرّحُ المستر واردن.

من خلال التّتبع في كلام المؤرّخين والوثائق المؤرشفة نرى أنّ هذه النظريّة هي التي تجانب الصّواب.

١. جمال قاسم ص٤١-٤٢ / جلال الهارون، تاريخ العرب الهولة والعتوب ص٤٤-٤٩

منها ما ذكره سلطان القاسميّ في كتابه بيان الكويت[1]: «في نهاية القرن السّابع عشر كانت هناك ثلاث طوائف في منطقة الخليج: العتوب والخليفات وتسكن في بندر الديلم بين بوشهر ومدخل شطّ العرب. والطّائفة الثّالثة الهولة وهي تكتّل من سبع أو ثمان قبائل وتسكن مدينة كنك القريبة من مدخل الخليج. وكانت هذه القبائل جميعها تغوص في مغاصات اللّؤلؤ بالقرب من البحرين، وتبيع ما تجمعه من اللّؤلؤ في سوق البحرين التّابعة لفارس، وبها حاكم عينته السّلطات الفارسيّة. حيث كان يجمع مبالغ طائلة من الرّسوم التي بالغ في فرضها على سفن الغوص وتجّار اللّؤلؤ».

وتشير إحدى الوثائق العثمانيّة المؤرّخة عام ١١١٣هـ إلى أنّ بندر الديلم كانت تسكنه العتوب والخليفات، فتقول هذه الوثيقة: «هناك أيضًا عشيرتان تتّبعان لإدارة العجم وهما عشيرة العتوب وعشيرة الخليفات وهم من أهل المذهب الشافعيّ والحنبليّ ويسكنون في مكانٍ قريبٍ من بندر ديلم ويوجد أيضًا بندر اسمه كونك فيه سبع أو ثماني عشائر يطلق عليهم اسم حولة كلهم عرب من أتباع المذهب الشافعيّ». وقد أشارت مي محمد آل خليفة إلى هذه الوثيقة في كتابها (محمد بن خليفة الأسطورة والتاريخ

١ سلطان القاسمي، بيان الكويت ص١٢

الموازي) وعلّقت عليها وذكرت أنّها غير مهمّة وتحتوي على مغالطاتٍ تاريخيّةٍ. . !!![1].

هناك وثيقة أخرى تدعم هذه النظريّة، وهي وثيقة هولنديّة مؤرّخة عام ١١٦٧هـ [2]، جاء فيها ما نصّه: «وينتهي جون جنابة بحافة بنج الناتئة التي يقع خلفها بندر ديلم وهو مستوطنةٌ عربيّةٌ لعشيرة تسمّى خليفات التي ما تزال تدين بدينها وتحافظ على تقاليدها، وهم فقراء يعيشون من الملاحة والغوص على اللّؤلؤ وصيد الأسماك، ومدينتهم ليست سيئة جدًا بالنّسبة للتّجارة؛ لأنّها واقعة على مسيرة يومٍ واحدٍ من بهبهان المدينة الفارسيّة الغنيّة».

وقال العالم المحدّث الشّيخ يوسف البحرانيّ في مخطوطته الرّائعة «لؤلؤة البحرين»[3]: فأقولُ أنّ مولدي كان في سنة ١١٠٧هـ، وكان مولد أخي الشّيخ محمد -مدّ في بقائه- سنة ١١١٢هـ في قرية الماحوز، حيث أنّ الوالد كان ساكنًا هناك لملازمة الدّرس عن شيخه الشّيخ سليمان -المتقدّم ذكره- وأنا يومئذٍ ابن خمس سنين تقريبًا، وفي هذه السّنة صارت الواقعة بين الهولة والعتوب،

١. ليس غريبًا على من امتهن التّزوير وتحريف الحقائق ونهب الحقوق أن ينكر ويثبت ما يحلو له من التّاريخ وكأنه حلال شيخ القبيلة

٢. ويلم م. فلور، لاهاي داغ ص٢٢٥

٣. يوسف البحرانيّ، لؤلؤة البحرين ص٤٢٥

حيث أنّ العتوب عاثوا في البحرين بالفساد ويد الحاكم قاصرة عنهم، فكاتب شيخ الإسلام الشّيخ محمد بن عبدالله بن ماجد الهولة ليأتوا على العتوب، وجاءت طائفةٌ من الهولة ووقع الحرب وانكسرت البلد إلى القلعة أكابر وأصاغر حتى كسر الله العتوب».

وهذا ما يُشكِّلُ دليلًا على أنّ العتوب المذكورين كانوا من سكنة فارس؛ لأنّه لم يكن يوجد العتوب في قطر في هذه الفترة كما أنّ الاستنجاد بالهولة الذين يقطنون السّاحل الفارسيّ يعزّزُ هذا الاعتقاد.

الهروب إلى البصرة:

كانت البحرين آنذاك هدفًا للعتوبيّين والهوليّين لما تحويه من مصائد لؤلؤٍ ومزارع نخيلٍ وهذا ما جعلهم يتصادمون فيما بينهم باعتبارهم هذه المصائد أملاك خاصّة لهم، حتى جاء عام ١١١٢هـ وتمكّن الهولة من إلحاق هزيمةٍ نكراء بالعتوبيّين.

ويذكرُ التّاريخ أنّ عرب الهولة في عام ١٧٠٠م اتّحدوا ضِدَّ العتوب، ولم يكن العتوب في تلك الفترة بمهارة الهولة في الملاحة وإجادة الحروب البحريّة ممّا جعل الهولة يُبعِدون العتوب عن مصائد اللّؤلؤ ويسيطرون عليها. وفي ذات العام هاجمت الهولة قبيلة العتوب المتحالفة مع الخليفات في البحر وباغتوهم وقتلوا

منهم خلقًا كثيرًا واستولوا على جميع أموالهم.

وكردّة فعلٍ لمهاجمة قبائل الهولة للعتوب اتّحدَ عرب العتوب والخليفات وحشّدوا قوّاتهم وقطعاتهم العسكريّة وقرّروا مهاجمة البحرين انتقامًا، بالفعل تمّ الهجوم على البحرين وأحرقوا بعض مزارع النّخيل ونهبوها وقتلوا الكثير من الهولة وأحرقوا المنازل الكائنة خارج قلعة البحرين، ممّا دفع شيخ الإسلام الشّيخ محمّد بن ماجد للاستنجاد بالهولة من السّاحل الشّرقي للخليج لأن يد الحاكم مهديّ قلي خان كانت قاصرة عن ردّ هجوم العتوب.

ونتيجةً لهذا الاستنجاد بعرب الهولة، قدم آل حرم إلى البحرين وتمكّنوا من إجلاء العتوب عنها والسّيطرة على الوضع، على أثر ذلك اعترف شاه إيران بهم شيوخًا للبحرين تابعين للحكم الصفويّ، بالتوازي مع ذلك أمر الشّاه بإرسال قوّةٍ بريّةٍ تَخرُجُ من

شيراز وتهاجم بندر ديلم لتأديب العتوب والخليفات، ممّا اضطر العتوب والخليفات الخروج والالتجاء إلى الحكم العثمانيّ في البصرة[1].

وصل العتوب إلى البصرة وطلبوا حماية الدّولة العثمانيّة كما هو موثّق في الوثيقة التّالية[2]: «في أحد الأيام قامت عشيرة العتوب التي هي حليفة عشيرة الخليفات في البحرين وعلى حين غرّة بقتل ٤٠٠ من رجالها واستولت على جميع أموالها. وهرب النّاجون من العتوب إلى حلفائهم من الخليفات. ثمّ اتفق الاثنان العتوب والخليفات على أنّ ما حدث كان بسبب فتنة العجم الموجودين في البحرين وقالا: لم يبق لنا أمانٌ في البقاء في بلاد العجم بعد الذي حصل، فلنذهب إلى مدينة البصرة التّابعة للدّولة العلية وبالفعل جاؤوا ودخلوا أراضي البصرة وعددهم ما يقارب ٢٠٠٠ بيت وهم الآن موجودون فيها. وقد جاء إليَّ أنا مأموركم في البصرة بعض وجهائهم والتمسوا لأنفسهم طلب البقاء قائلين: إنّنا من أهل السنّة والجماعة وتركنا بلاد الرافضيّين[3]، ولجأنا إلى سلطان المسلمين

١. جلال الهارون، تاريخ عرب الهولة والعتوب ص٢٩-٤٤

٢. سلطان القاسمي، بيان الكويت

٣. النّفس الطائفيّ الذي يعيشه الخليفيّون اليوم ليس غريبًا عليهم فهو من موروثات الفكر القبليّ

للعيش في أراضيه وأنتم أعلم بما يصلح حالنا».

إلّا أنّ طلبهم قوبل بالرّفض لما يشكّلون من خطرٍ على المصالح العثمانيّة حيث كانوا ينهبون ويسلبون ويمارسون أعمال قطع الطّرق هناك فطردهم الوالي وأمرهم بالذّهاب إلى مكانٍ بعيد، فنزل بعضهم خور الصّبية وقيل أنّه تمّ طردهم من قبل الحكومة العثمانيّة كذلك فنزلوا الكويت، والبعض الآخر توجّه للسّاحل الشرقيّ للخليج وقد تمّ طردهم كذلك من هناك من قبل القبائل العربيّة المتواجدة بالقرب منهم لما كانوا يمارسون من أعمال سلبٍ ونهبٍ وقرصنةٍ[1].

١. (الطّرد هو ما اعتاد عليه الخليفيّون منذ القدم وهو الجزاء الوحيد الذي يستحقّونه لأنّهم شرذمة من اللّصوص والأشرار الذين لا يستطيعون العيش في أوساط المجتمعات الإنسانيّة المتحضرة) (عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت ص٣٦ / أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث ص٢٤).

إلى الكويت:

يظهر مما سبق أنّ العتوب وصلوا إلى الكويت على دفعاتٍ متفرّقةٍ ولم ينزلوا جميعًا دفعةً واحدة، وقد كانت الكويت قبل ذلك أرضًا فقيرة لا يسكنها إلّا لفيف من العشائر التّابعة لابن عريعر، وعند وصولهم الكويت استأذنوا بني خالد حكّام الأحساء سنة ١١٢٧هـ / ١٧١٥م بالإقامة فيها فأذنوا لهم، فاستقرُّوا فيها تحت حماية بني خالد حيث مارسوا التّجارة وامتهنوا الغوص لجمع اللّؤلؤ والتّجارة البحريّة من وإلى الهند، فازدهرت أعمالهم وتكاثر السّكان في المدينة وأقبلت عليهم قبائل مختلفة[1].

وفي سنة ١١٢٩هـ / ١٧١٦م تحالف ثلاثة من أهم زعماء القبائل التي سكنت الكويت وهم صباح بن جابر بن سلمان بن أحمد وخليفة بن محمد وجابر بن رحمة العتبي رئيس الجلاهمة على أن يتولّى صباح الرئاسة وشؤون الحكم وأن يتشاور معهم ويتولّى خليفة شؤون المال والتّجارة ويتولّى جابر شؤون العمل في البحر وتقسّم جميع الأرباح بينهم بالتّساوي[2]، بشرط أن يبقى كلّ ذلك تحت الحكم الخالديّ المباشر.

---

١. القناعي ص٩٢

٢. خزعل ص٤٢

دخل العتوب في جمود سياسيّ لما لا يقل عن ٥٠ عامًا وركّزوا جلّ اهتمامهم على التّجارة والشّؤون الماليّة، وقد ساعدهم الصّراع بين أفراد الأسرة الحاكمة من بني خالد عقب وفاة سعدون سنة ١٧٢٢م على التمتّع بنوعٍ من الاستقلال الداخليّ وفي سنة ١٧٥٢م أتاح الخطر الوهابي القادم من نجد على شرقيّ الجزيرة على الحصول على استقلال تام؛ نظرًا لمشاغلة الوهابيّون بني خالد[1].

إلى الزبارة:

رغم الثّروة والاستقلال التي حقّقتها قبائل العتوب في الكويت إلّا أنّ آل خليفة قرّروا -فجأةً- عام ١٧٦٦م ترك الكويت والهجرة منها إلى الزّبارة وهذا ما يطرح تساؤلات عن سبب هجرتهم، ولماذا الزّبارة بالذّات؟.

هناك عدّة أسبابٍ ذكرت في الرّوايات وعلى لسان المؤرّخين، منها:

- طموح وحبّ آل خليفة للانفراد بالحكم، ورغبتهم في تكوين مملكةٍ خاصةٍ بهم.
- التّشاحن والحسد على الثّروة والمال اللذان أفرزتهما

١. أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث ص٢٧

طبيعة الحياة القبليّة.

- الطّمع في زيادة الثّروة والأرباح من خلال الاقتراب من مورد اللّؤلؤ الرئيسيّ فيكونون موردين للّؤلؤ بدلًا من شرائه والتّجارة به.

ولعلّ السّبب الأبرز هو تجدّد الأحلام القديمة بالسّيطرة على جزيرة البحرين عبر التّعاون مع الإنكليز من أجل تحقيق ذلك: في مطلع العام ١٧٧٣م انتقل مرض الطّاعون من بغداد للبصرة وبدأ يستفحل فيه بشكل وباء قاتل، ممّا تسبّب في هلاك المئات هلاكًا يوميًّا، ولذلك هرب من البصرة خلقٌ كثيرٌ للقطيف والبحرين، وهو ما أدّى لانتشار الوباء فيهما.

نتج عن وباء الطّاعون هذا، هلاك ما يقارب المليونين؛ وهو ما أدّى لتدمير تجارة البصرة تدميرًا شبه كامل ودمارًا هائلًا في البحرين والقطيف؛ ويعتقد بعض الباحثين أنّ انتشار هذا الوباء يمكن أن يكون مفتعلاً من قبل الاستعمار كنموذج عملوا به لإضعاف الشّعوب، أو أن يكون نتيجة ثانويّة لتخريبهم للنّظام الاجتماعيّ والاقتصاديّ عبر دعم القراصنة واستجلابهم للمنطقة[1].

في هذه الفترة، أي عام ١٧٧٤م (١١٨٨هـ) بعد حوالي عام

١. راجع: الطّب الامبرياليّ والمجتمعات المحليّة

من انتشار الطّاعون الذي أضعف شعوب المنطقة، قام خليفة بن محمد بتأسيس بلدة الزّبارة في أرضٍ سبخة على الشّاطئ الشماليّ الغربيّ لقطر.

ولم يكن تأسيس الزّبارة كميناء ومركز استقرار للعتوب القراصنة بمعزل عن سائر الحوادث في المنطقة، حيث أن خطط شركة الهند الشرقيّة كقوّة استعماريّة تمارس التّجارة الاحتكاريّة بدأت تتّضح لشعوب المنطقة، حيث أرسل لاتوش وإبراهام من البصرة إلى مجلس المديرين للشّركة النّص التاليّ:

«إنّنا في بوشهر نتعرّض لنفس الضّغط الذي نتعرّض له في البصرة، فالشّيوخ في بوشهر يتدخّلون في كلّ صغيرة وكبيرة من شئون التّجارة بالميناء، وحتى أنّ التّجار المقيمين بها يرون أن لا طائل من وراء تجارتنا في تلك المدينة».

ولهذا، فإنّ تأسيس الزّبارة في هذا الوقت لم يكن محض صدفة، حيث أُقيمت العلاقات المباشرة بين ممثّلي شركة الهند الشرقيّة الإنجليزيّة والعتوب بشكل مُعلن؛ أمّا البضائع المشحونة لحساب شركة الهند الشرقيّة من الهند إلى حلب، والتي كانت تُنقل إلى بوشهر والبصرة أولاً، أصبحت تفرغ الآن في الزّبارة أو الكويت، ومنها تحمله قوافل العتوب وحلفائها إلى حلب عبر

الطّريق الصحراويّ متجنّبة البصرة.

كلّ ما سبق، من ممارسة العتوب للسّطو على تجارة الأهالي، والتّحالف مع الاستعمار البريطانيّ متمثّلة في شركة الهند الشرقيّة أدّى لتراكم ثروة هائلة لديها، ساهمت بتوسعة أسطولها الحربيّ، والذي يدرّ المزيد من الثّروات عبر القرصنة أو التعاون مع الاستعمار[1].

لم يحاول آل مسلم حكام قطر آنذاك منع العتوب من سكن الزّبارة واتخاذها مقرًّا لهم رغم تجربتهم السّابقة معهم؛ ويعود سبب ذلك للعلاقة الطّيبة بين آل خليفة وبني خالد حكّام شرق الجزيرة والأحساء الذين يهابهم آل مسلم. على الرّغم من ذلك ألزم آل مسلم الخليفيّين بدفع إتاوةٍ سنوية لهم، وقد اعترف بالبداية خليفة بن محمد بسلطة آل مسلم باعتبارهم نوّابًا لبني خالد في قطر ودفع لهم الخراج إلى سنة ١١٨٦ هـ/ ١٧٧٢م. عندما تمكّن من

١. موقع ائتلاف ١٤ فبراير، http://www. ١٤f٢٠١١. com

تحصين المدينة وفرغ من بناء قلعته الحصينة بالقرب من ماء مرير امتنع عن دفع الخراج وتحصّن في قلعته واستطاع ردّ المهاجمين والحفاظ على حكمه[1].

احتلال البحرين:

شكّلت الأحداثُ المتعاقبةُ قبيل احتلال البحرين طريقًا سهلًا يستطيع من خلاله آل خليفة بمعونة العتوب الحصول على موطئ قدمٍ لهم في أرض أوال الطّاهرة، ويتوهّم من يظنّ أنّ هذا وليد الصّدفة، إنّما هي خيوط لعبةٍ نسجتها الحكومة البريطانيّة ونفّذتها الأيادي الخليفيّة والعتبيّة من أجل تثبيت الاستعمار البريطانيّ في الخليج وتحقيق أطماع البدو القبليّين، هكذا التقت المصالح بين الدّناءة الأوروبيّة والقبليّة البدويّة.

والملاحظ في هذه الأحداث محاولة البريطانيّين تغييب أنفسهم عن المشهد وعدم الحديث عن هذه الفترة إلّا بلغة الشّاهد لا أكثر، والواقع أنّ أصابع الاتّهام تتّجه لهم في المستوى الأوّل، فكيف تُفسّر أطماع شركة الهند الشرقيّة ونشاط الأسطول الإنكليزيّ في الخليج؟! كيف يفسّر امتداد جسور التّواصل بينهم وبين الخليفيّين المعروفين بالإجرام والقرصنة قبل احتلال البحرين؟.

١. محمد النبهاني، التحفة النبهانية ص١٢١

قبل التعرّض للأحداث التاريخيّة في الاستيلاء على جزر البحرين لا بأس باستعراض الحالة الاجتماعيّة والسياسيّة التي لفّت البحرين آنذاك.

سكّان البحرين:

على عكس آل خليفة الذين يختلف الباحثون في نسبهم وأصولهم فإنّ سكّان البحرين الأصليّون لا يحتاجون لإثبات هويّاتهم؛ لأنّها حقيقة ناصعة لا يشوبها ظلام التّزييف، كلّ المصادر التاريخيّة تشير جميعها إلى أنّ سكّان البحرين هم من العرب الشّيعة ويُدعون بـ«البحارنة»، وممّا يثبت ذلك:

- مقبرة أبوعنبرة هي كنزٌ من كنوز جزيرة البحرين، تاريخٌ وتراثٌ ثمينٌ لا يقدّر بثمن، فيها قبورٌ أثريّةٌ تختزلُ قرونًا من تاريخ جزيرة أوال، قبورٌ تضمٌّ بين طيّاتها رفات أكابر العلماء والفقهاء والشخصيّات التاريخيّة التي ساهمت في كتابة تاريخ البحرين القديم، يكفي التأمّل وقراءة ما نحت على ساجات العلماء من أسماء وتواريخ لتكتشف التّاريخ العريق لسكّان هذه الجزيرة.
- يقول شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحمويّ الروميّ البغداديّ المتوفّى في القرن السّابع

الهجريّ سنة (٦٢٦ هـ)، في كتابه معجم البلدان (ج٤ \ ص١٥٠) في باب (العين والميم وما يليها) في مادة (عمان)، قال:

«وأهل البحرين بالقرب منهم بضدِّهم كلّهم روافض سبائيون لا يكتمونه ولا يتحاشون وليس عندهم من يخالف هذا المذهب إلّا أن يكون غريبًا».

- يقول مؤرّخ البلاط الخليفيّ النبهانيّ في كتابه التّحفة النبهانيّة: «كان غالب سكّان البحرين شيعة شديدي التّعصب على إخوانهم السنيّين» (التحفة البنهانيّة ص١٢٣).
- نقود الدّولة العيونيّة المسكوكة في القرن السّادس الهجريّ

حيث كُتِبَ عليها «عليٌّ ولي الله».

من ناحيةٍ اجتماعيّةٍ، يذكر مونيك كرفران (١٩٨٨م)، ما كتبه المعلّم (القبطان) أحمد بن ماجد، عندما زار أوال في نهاية القرن الخامس عشر، إذ أشار إلى أنّ «أوال تحتوي على ٣٦٠ قرية، ومياهها العذبة متوفّرة في كل مكان، وأنّها تحتوي على مكانٍ في البحر ينبع منه الماء العذب وهناك حول البحرين مصائد اللّؤلؤ وتجارتها التي تعتمد على ١٠٠٠ سفينة. وفي البحرين قبائل عربيّة وتجّار وعدد كبير من النّخيل والخيول والجمال والماعز والغنم، والرّمان، والتّين واللّيمون، وغيرها». وذكر ابن ماجد أنّ تجار هرمز يقصدون البحرين لشراء اللّؤلؤ ثم بيعه في الهند بأرباح طائلة. وذكر محمد علي العصفور (مجلّد مخطوط باليد ١٩٠١) «قال بعض مشايخنا كان عدد قرى البحرين في زمان السّابق بعدد أيام السّنة».

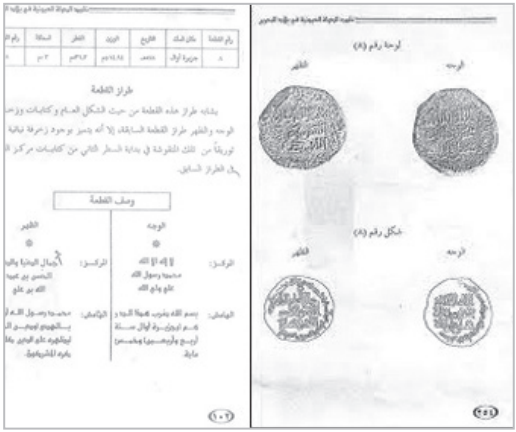

على الصّعيد الآخر في الجانب السياسيّ الذي مرّت به البحرين قبل احتلال آل خليفة لها ارتأينا أن نستعرض ما أورده لوريمر في موسوعته دليل الخليج حتى يستنبط القارئ منها الجو العام آنذاك[1]:

الإيرانيّون يطردون البرتغاليّين من البحرين حوالي سنة ١٦٠٢م:

ليس ضروريًّا ونحن نتتبّع مجرى الأحداث في البحرين أن نرجع لتاريخها قبل سنة ١٦٠٢م، ففي هذا الوقت تقريبًا قام الإيرانيّون بطرد البرتغاليّين من الجزر وما زالت أطلال القلعة القائمة حتى اليوم على السّاحل الشماليّ للجزيرة الكبرى في البحرين والمعروفة باسم قلعة العجاج شاهدة على احتلال البرتغال لها.

إيران تحتلّ البحرين لفترة غير واضحة التّاريخ:

ويبدو أن الإيرانيّين قد استعادوا ملكيّة الجزر بعد فترة مؤقّتة، وفي سنة ١٦٢٢م لابدّ أنّه كان لهم موقع عسكريّ فيها لأنّهم جلبوا من هناك كميّة كبيرة من البارود لاستخدامها لحصار هرمز.

١. مع الأخذ بعين الاعتبار أن الإنكليز من المشاركين الأساسيّين في احتلال البحرين لذلك لابدّ وأنّ التّاريخ سيكتبونه على هواهم وبطريقة تبعد السّهام عنهم، إلّا أنّ تغييب كلّ الحقيقة ليس بالأمر الهيّن.

احتلال إمام عمان للبحرين ١٧١٨م:

وفي سنة ١٧١٨م تقريبًا نزل عرب مسقط إلى جزر البحرين، وكانت مسقط في ذلك الوقت تحت حكم سلطان بن سيف الثانيّ أحد أئمة اليعاربة. ولا يتضح لنا ما إذا كانت جزر البحرين مهملة في ذلك الوقت أم أنّ حامية إيرانيّة كانت مقيمة فيها، لكنّ مستعمريها على أيّة حال لم يكونوا يواجهون أيّة صعوبات في تأكيد سيطرتهم عليها. ويبدو أن احتلال عمان لهذه الجزر لم يدم إلا وقتًا قصيرًا فقط، ويقال أنّ هذا الاحتلال قد انتهى نتيجة هجرة أهل البلاد الأصليّين من موطنهم وإقامتهم في مناطق أخرى هربًا من المظالم الأجنبيّة الواقعة عليهم.

سيادة عرب الهولة على البحرين ١٧١٥ - ١٧٥٣م:

وفي منتصف القرن الثّامن عشر كان عرب الهولة - الذين ما يزالون ممثّلين تمثيلًا قويًّا في الجزر حتى اليوم-هم أكبر القبائل المستقرّة فيها وهم الذين يتحكمون في سياسة الأرخبيل كلّه، لكن الانقسامات والخلافات الداخليّة فيما بينهم كانت قد أنهكتهم في سنة ١٧٥٣م إلى حدّ يسّر احتلال الجزر لأيّة دولة أجنبيّة.

ضمّها لإيران حوالي سنة ١٧٥٣م:

ويبدو أنّه في نفس هذه السّنة أغرت الحالة الداخليّة في البحرين الشّيخ ناصر حاكم بوشهر من قبل الحكومة الإيرانيّة -على النّزول إلى الجزر، وبمعونة الميرناصر- زعيم ريق- استطاع تدعيم سلطته هناك. وهكذا أصبحت الجزر مرّة أخرى تابعة لإيران، اسميًّا على الأقل.

وكيل شيراز وعائدات البحرين ١٧٥٥ - ١٧٦٧م:

وفي سنة ١٧٥٥م أمر الوكيل كريم خان في شيراز بسجن الشّيخ ناصر نظرًا لامتناعه عن دفع مبلغ خمسة آلاف تومان لحساب عوائد البحرين في السّنوات الثّلاث التي كانت تحت إمرته فيها، ويبدو أنّ الوكيل أصرّ على أن يدفع الشّيخ ناصر أربعة آلاف تومان كلّ سنة عن عوائد بوشهر والبحرين معًا.

أحداث في البحرين ١٧٥٧ - ١٧٨٣م:

ولا تتوفّر لنا المعلومات عن الأحوال الداخليّة للبحرين[1] خلال فترة الاحتلال الإيرانيّ لها بدءً من سنة ١٧٥٣م. وفي ١٧٧١م هاجم قراصنة خارج سفينتين ترفعان العلم البريطانيّ وسفنًا أخرى

١. من غير المعقول عدم توفّر معلومات في هذه الفترة التي كان الاستعمار الإنكليزيّ على شكل شركة الهند الشرقيّة موجودًا في الخليج وهذا ما يعزّز الحقيقة القائمة بمسؤوليّة الإنكليز في الأحداث آنذاك

عديدة، وحملوها إلى البحرين حيث أبقوها هناك حتى تيسّرت لهم فرصة نقلها إلى ريق. وفي ١٧٧٩م قام شيخ من البحرين يدعى ناصر كان جاء على سفينته له بدور في استعادة بوشهر لحساب شيخها المدعو ناصر أيضًا - ممن يدعى باقر خان الذي كان قد سيطر عليها. وهذه الأحداث التي لا تكاد تتعلّق بالبحرين نجدها بالتّفصيل في أماكنها الصّحيحة.

العتوب يغزون البحرين ١٧٨٢م:

كذلك يمكننا القول بأنّ الصّراع في البحرين أثاره اعتداء إيران على الزّبارة[1]. وهي مستوطنة مزدهرة أقامها العتوب واستقرّوا فيها بعد هجرتهم من الكويت على ساحل قطر المواجه للبحرين، وكان كريم خان زند قد كلّف الشّيخ ناصر شيخ بوشهر والبحرين بإخضاع الزّبارة، ويبدو أنّه قام بمحاولة سابقة ١٧٧٧م لتنفيذ هذه التّعليمات.

وبعد موت كريم خان، وفقدان الحكومة الإيرانيّة قدرتها على العمل وقتًا ما، انتقم عرب الزّبارة لأنفسهم - في سنة ١٧٨٢م على

١. كان لزامًا على لوريمر توضيح سبب اعتداء إيران وقوى المنطقة على الزّبارة لما كانت تشكّله من تهديد حقيقيّ على الشّعوب الموجودة هناك بسبب تصرفات العتوب فيها

الأرجح- بأن نزلوا على جزيرة البحرين وأوقعوا الهزيمة بالشّيخ ناصر في ميدان القتال، وطاردوه حتى الجأوه إلى قلعته، ونهبوا مدينة المنامة ودمّروها، واستولوا على سفن بوشهر وعادوا بها إلى الزّبارة.

تعليق: تاريخ البحرين في الفترة الواقعة بين ١٦٠٢-١٧٨٣م، لا زال مدثورًا ومطمورًا، ويرجع السّبب في ذلك إلى السّياسة التي اتبعها حكّام البلاد في الفترة اللّاحقة لهذا التّاريخ، وهي سياسة سعت لاعتبار بداية التّاريخ «الحديث» بعد تلك الفترة.

للوقوف على تفاصيل أكثر عن هذه الفترة راجع كتاب خالد الهارون، تاريخ عرب الهولة والعتوب ص٣٨-٤٤.

سبق احتلال البحرين عدّة اصطداماتٍ وحوادثَ بين العتوب وأهل البحرين منها الحادثة التي ذكرها الشّيخ يوسف البحرانيّ في كتابه «لؤلؤة البحرين» سنة ١٧٠٠م، ومنها ما يذكره الوكيل الوطنيّ لبريطانيا في البحرين أبوالقاسم عباس ابن المونشي في رسالته إلى القنصل البريطانيّ في الخليج عام ١٧٨٣م يذكر: «أنّ سبب قيام حاكم البحرين بمحاربة أهل الزّبارة (آل خليفة) هو أنّهم قتلوا واحدًا من غواويص البحرين»[1]. كذلك يُشير لاتوش المقيم البريطانيّ في البصرة أنّ العتوب استولوا في مطلع عام

١. تسجيلات المكتب الهندي

١٧٨٢م على عدّة سفن تابعة لبوشهر وبندر ريق، ويذهب إلى القول أنّ العتوب استولوا على البحرين ونهبوها[١].

ومنها ما يذكره آل خليفة أنفسهم أنّ في بعض الأيام جاء خدم لآل خليفة إلى البحرين بالتّحديد جزيرة سترة لشراء جذوع النّخيل فحدث عراك بين الخدم وأبناء البحرين الأصليّين -لأنهم جاؤوا كلصوص وليس ضيوف- ممّا أدى لمقتل خادم لآل خليفة يسمّى إسماعيل، فأرسل آل خليفة قوّةً صغيرةً إلى الجزيرة قامت بقتل خمسة أشخاص من سكانها وعادت سالمة[٢].

بعد سنين قليلة على وباء الطّاعون وهجمات القرصنة وبعد

١. أبو حاكمة، تاريخ الكويت ص١٦

٢. محمد النبهاني، التحفة النبهانية ص١٢٣-١٢٤

تعاظم وتوسّع قوى العتوب في المنطقة بسبب عمليّات النّهب والتّجارة مع الإنكليز وتشكيلهم تهديد على الشّعوب الموجودة هناك تحالف شيوخ بوشهر وهرمز العرب (بإيعاز من كريم خان زند الذي قدّم دعمًا بالقوّات الفارسيّة) وكذلك شيخ القواسم ضد الزّبارة والكويت وأعدّوا العدّة من أجل الهجوم على العتوب هناك لكن لم تتحرّك هذه القوّات قط؛ وبالرّغم من تكرّر تلك الاستعدادات إلّا أنّها لم تنفذ لما تعانيه كلّ واحدة من تلك القوى من مشاكل داخليّة.

الوجود البريطانيّ في الخليج لم يكن خارج الصّورة بل كان في عمقها وقد اطمأنّ لعدم قدرة شعوب المنطقة على التصدّي لعملائه من القراصنة فأوعز الإنكليز إلى أحمد بن محمد بن خليفة في عام ١٧٨٢م بمهاجمة جزيرة سترة المعزولة ليلًا، وبالفعل هاجموها وقاموا بنهب ثروات أهلها بعد مجزرةٍ عظيمةٍ قتلوا فيها الكثير من سكّانها.

بعد عام من ذلك بالتّحديد في الثّالث والعشرين من شهر يوليو ١٧٨٣م الموافق ليوم الاثنين ٢٨ جمع العتوب قواهم بقيادة آل خليفة وهاجموا البحرين واحتلُّوها وبذلك بدأ الحكم الوراثيّ لآل خليفة واستمرّ حتّى اليوم.

الجزء الثاني

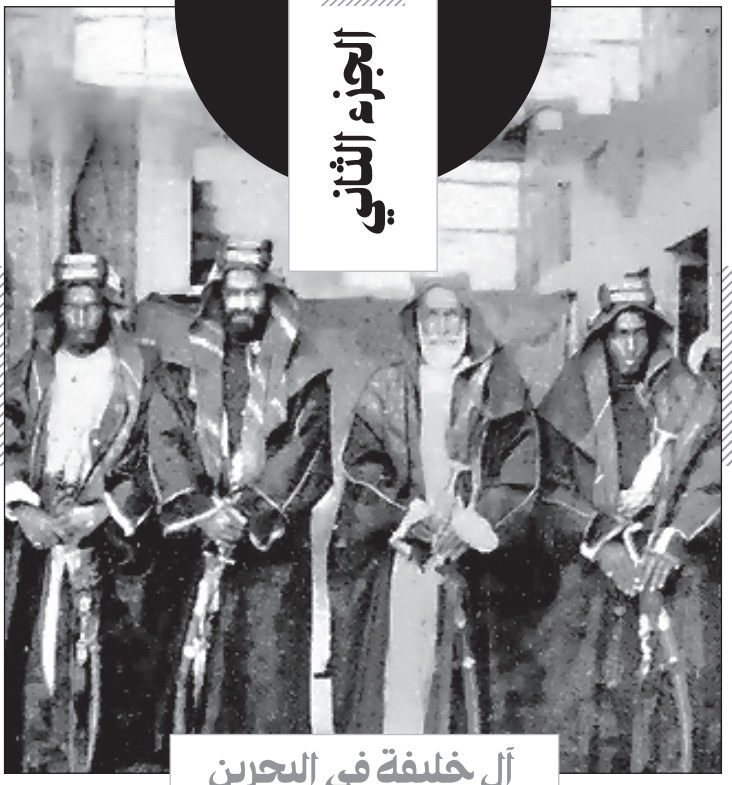

آل خليفة في البحرين

بعد سنة ١٧٨٣م بدأت حقبةٌ جديدةٌ وتاريخٌ آخر يتشكّل في جزيرة البحرين، فبينما يسمّيها الإنكليز والخليفيّون (العهد الجديد) يقول الواقع أنّها حقبة من السواد، وتاريخٌ من الاندثار والتّهجير ورحلة من الألم والعذاب.

بعد احتلال تحالف العتوب للبحرين عمّ الاستبداد وازداد الظّلم وجلس وحشٌ أثيمٌ على صدر أبناء الشّعب وهشّم عظامه، فأطلق العتوب على سكّانها الأصليّين تسمية «حلايل» إذ تشير الكلمة إلى أنّ هؤلاء السكّان محلّلُوا الدّم والمال والعرض، فهم ملكٌ للمالك الذي هو شيخ القبيلة والتصرّف معهم بأيّ سلوك وحشي أو غيره جائز لأنّهم لا يرقون لطبقة القبيلة وفق النّظام الطبقيّ القبليّ، وهكذا يتحوّل السكّان الأصليّون في القرى إلى مجموعات هامشيّة يقتل من يقتل منهم ويشرّد من يشرّد منهم وتنتهك الحرمات والأعراض، فكم من قرية قد سلبت ونهبت وقتل

رجالها وسبيت نساؤها؟!.

نكتفي ببعض المصادر والتي ترجع القارئ لمصادر اوسع لتوثيق الجرائم في هذا الجزء بالمصادر كما في الجزء الأول فقبور الشّهداء وروايات الأهالي وتشرّد عوائل البحارنة في أقصاع الأرض كافية لإدانة الخليفيّين، ولكن من باب الأمانة التاريخيّة سنذكر بعض المراجع التي يستطيع الباحث التوسّع من خلالها. مع ملاحظة أنّ كثير مما سيُنقل في هذا الجزء هو اقتباسات لجرائم سجّلها أبناء البحرين وتنظيمات معارضة.

محطات تاريخية مهمة:

جرائم الخليفيّين بحقّ الوطن (ملاحظة: سيتم السّرد وفق التّسلسل الزمنيّ):

جاء في كتاب الجبهة الإسلاميّة لتحرير البحرين، كفاح شعب البحرين:

ظلّ أحمد الخليفة يحكم البحرين بالقوّة حتى عام ١٧٩٦م حيث مات وخلَفَه ابناه عبدالله وسلمان.

ولأنّ آل خليفة كانوا غرباء عن الشّعب البحرانيّ ولا تربطهم بالبحرين أيّة رابطة سوى رابطة (المحتلّ) بالأرض المحتلّة لذلك

فإنّهم لم يكونوا مستعدّين للدّفاع عن البحرين وسكّانها، ومن هنا فعندما أرسلت سلطات عمان في عام ١٧٩٩م أسطولها لاحتلال البحرين هرب الشّيخ سلمان إلى الزّبارة دون أيّة مقاومة وسلّم البحرين بكل سهولة.

وبقيَ هذا الأخير في الزّبارة حتى عام ١٨٠٧م حيث عاد وغصب البحرين وطلب مساعدة الوهابيّين في ذلك[١].

عام ١٨١٤م:

جرى اتصال بين البريطانيّين وبين آل خليفة - بحكم طبيعة مهمّة الطّرفين اللصوصيّة- ووافق المشايخ على عدم القيام بأيّ عمل يضرّ بالمصالح البريطانيّة.

عام ١٨١٦م:

تحوّلت البحرين إلى سوقٍ وقاعدةٍ للقراصنة بسبب سياسات آل خليفة في دعم القرصنة والقراصنة وتوفير ما يحتاجونه من معدّات[٢].

١ لوريمر، دليل الخليج ص١٢٧٤-١٢٧٥

٢ لوريمر، دليل الخليج ص١٢٨٠

عام ١٨٢٠م:

وقّع كلٌّ من العميل سلمان والعميل عبدالله - اللّذان كانا يشتركان في حكم البحرين- المعاهدة الكبرى الأولى مع شركة الهند الشرقيّة الاستعماريّة وهي الشّركة التي أوصت من ذي قبل باحتلال البحرين لضمان طريقها إلى مستعمراتها الكبرى -الهند- وكانت المعاهدة هي بداية استعمار البحرين، حيث أنّها نصّت في بعض بنودها على ما يلي:

١. تلتزم السّفن التّابعة للعرب الأصدقاء برفع علم أبيض في وسطه مربع أحمر يكون رمزًا لجنسيّتها !، وشارة السّلام بين الشّيوخ من جهة والبريطانيّين من جهة أخرى. ولا يجوز لها استعمال شعار آخر.

٢. ستحمل سفن العرب المسالمين كلّها سجلًّا يحوي توقيع الشّيخ واسم السّفينة وطولها وعرضها وحمولتها، إضافةً إلى رخصة بتوقيع الشّيخ تحوي اسم مالكها وربّانها وبحّارتها وسلاحها وتعيين ميناء الخروج وميناء الوصول، وإذا قابلت هذه السّفن سفينة بريطانيّة وجبت عليها تقديم السّجل والرّخصة.

٣. إذا لم تكُف أيّة قبيلة أو جماعة عن النّشاطات المعادية،

فإنّ جميع العرب المسالمين سيعملون ضدّها حسب طاقاتهم، وسيجري اتفاق بهذا الخصوص بين العرب المسالمين والبريطانيّين عندما يحدث ذلك!.

وإلى جانب معاهدة السّلام هذه جرى توقيع اتفاقيّة متبادلة أخرى مع بريطانيا، وهي الاتفاقيّة التي كانت بريطانيا تتذرّع بها لفصل البحرين عن باقي الدّول الإسلاميّة حتى أنّه عندما قام وفد من قبل «الأستانة» وكان يتكوّن من بعض شيوخ البصرة وبغداد- بزيارة البحرين لتوحيدها مع باقي الدّول الإسلاميّة احتجّت بريطانيا لدى «الباب العالي» وادّعت أنّ البحرين دولةٌ مستقلةٌ بحكم ارتباطاتها مع بريطانيا بمعاهدات خاصّة!.

يناير ١٨٢٣م:

بناءً على أوامر خاصّة من حكومة بومباي قام الملازم الإنكليزيّ ماكلاود بزيارة للبحرين طمأن فيها عملاءه من الخليفيّين بأنّ الاتفاقيّة التي وُقّعت سابقًا وتنص على سيادة إيران على البحرين قد ألغتها الحكومة البريطانيّة وأنّ سياستهم تجاه العملاء الخليفيّين لن تتغيّر، وقد أشار لوريمر إلى أنّ ماكلاود ذكر أنّ سلطة شيوخ البحرين على أرضهم ليست مطلقة كما يتوقّع، وأنّ

«أهالي الجزر يتحمّلونها على مضضٍ ظاهر»[1].

عام ١٨٣٣م:

أصبح الشّيخ عبدالله هو الحاكم المطلق في البحرين وبسبب تلهّفه على أن يُمسك بخيوط السّلطة جميعًا في يديه، إلى جانب سوء حكمه وسوء الإدارة أدّت إلى تفاقم الأوضاع الداخليّة وأصبحت البحرين إمارةً تُنذِر البريطانيّين بالخطر.

عام ١٨٣٦م:

كان احتمال البحارنة للخليفيّين يتلاشى وبدأت الجزر تخلو من سكّانها المهاجرين، وكانت المدن في حالة من الفوضى والخراب، كما زعم ستة من أبناء الشّيخ عبدالله أنّ لكلّ منهم سلطته المستقلّة وقد انحصرت جهودهم جميعًا في ابتزاز الأموال من التّجار وغيرهم، ولم يكن للمواطن البحرانيّ العادي أيّة حقوق معترف بها، حتّى حيواناته التي يملكها كثيرًا ما كانت تؤخذ منه لأعمال السّخَرَة ولا تُعاد إليه أبدًا، وكانت النّتيجة هجرة جماعيّة لأهالي البحرين إلى مختلف مناطق الخليج[2].

١. لوريمر، دليل الخليج ص١٢٨٨

٢. لوريمر، دليل الخليج ص١٢٩٩

تجدر الإشارة إلى أنّ الجبان عبدالله الخليفة طلب المعونة من الحكومة الإيرانيّة في ١٨٣٩م واعتبر البحرين من رعاياها، وقد طلب بنفسه من أمير الحكم في شيراز أن يرسل مبعوثًا إلى البحرين[١].

ومما يثير العجب[٢] أكثر أنّ المعتوه عبدالله الخليفة الذي سلّم البحرين أكثر من مرّةٍ لسيادة الإنكليز والعمانيّين والإيرانيّين والوهابيّين قد سلّمها من جديد إلى المصريّين كذلك في يوليو ١٨٣٩م!! في الوقت ذاته لم يتنازل عن عبوديّته للإنكليز فقد برّر للمقيم العام عندما زار البحرين أنّه لن يضع نفسه أبدًا ضدّ مصالح الحكومة البريطانيّة حتى ولو طلبت إليه القوّات المصريّة ذلك[٣].

عام ١٨٤٠م:

عندما لم يعجب الحكومة الإنكليزيّة شيخ البحرين عبدالله الخليفة ارتأت أن تستبدله بعميل آخر، لذلك ناقشت اللّجنة السريّة لمديري شركة الهند الشرقيّة الاستعماريّة إمكانيّة استبداله

١ لوريمر، دليل الخليج ص١٣٠٤

٢ لأنّهم غرباء عن أرض البحرين وليست بينهم وبين ترابها علاقة فكانوا مستعدّين لبيع البحرين للأجنبيّ

٣ لوريمر، دليل الخليج ص١٣٠٨

بعبدٍ أكثر عبوديّة، فقرّرت أن تعطي المجال لسيد عمان بغزو البحرين وأن لا تقف في وجهه!! لكنّ هذه الخطّة كانت تواجه خللًا فنيًّا وهو خرق الخطّ المانع الذي أقامته السّلطات الإنكليزيّة في سنة ١٨٣٦م وهو خرق لابدّ أن يحدث[١].

نتيجةً لذلك عملت الحكومة البريطانيّة على إثارة خلاف بين الشّيخ عبدالله الخليفة وحفيد شقيقه محمد بن خليفة بن سلمان ممّا أدّى لحدوث العديد من المناوشات والحروب على مدى ٣ سنوات، وبعد أن طُرِدَ الشّيخ محمد خارج البحرين أوعز الإنكليز له بالتّحالف مع عيسى بن طريف زعيم آل بن علي وبشير بن رحمة بمباركة المقيم البريطانيّ في بوشهر، وتم منحهم الإذن للقيام بأعمال عسكريّة وسمح لهم بنهب المنامة[٢]، بعد هزيمة الشّيخ عبدالله الخليفة وهربه من البحرين ذهب للتسوّل من قوى المنطقة من أجل مدّ يد العون له ومساعدته لاحتلال البحرين مقابل إغراءات قدّمها لهم، وكانت من بين تلك القوى إيران والوهابيّين ومسقط.

في الفترة الممتدّة بين أربعينات وستينات القرن التّاسع عشر لم تنعم البحرين - كما مضى- بالهدوء الداخليّ بل سادت موجةٌ

١. لوريمر، دليل الخليج ص١٣١٠

٢. لوريمر، دليل الخليج ص١٣١٣

من الاضطرابات والمشاكل، وكانت الحالة في البحرين حسب وصف الملازم ديسبروا: «كنا نتوقّع دائمًا حدوث الاضطرابات والهجمات، ونطلب نصيحة المقيم، وكثيرًا ما كنّا نختلف معه حول ضرورة تقديم النّصائح الواضحة لنا، فمن الأمور العادية التي آنذاك في البحرين اضطهاد الرّعايا -يقصد اضطهاد الخليفيّين للبحارنة-، وفرار من يقع عليه الاضطهاد من الجزر، وإرسال الوفود المسلّحة المفوّضة تفويضًا كاملًا لعقد اتفاقيّات ثم عودتهم، وتوجيه اللّوم إليهم لهذه الاتّفاقيات التي توصّلوا إليها.. ».

عام ١٨٦١م:

وقّع العميل محمد بن خليفة معاهدة خائنة مع بريطانيا تنصّ على أنّ البحرين من محميّات بريطانيا - وتفتحها للاحتكارات البريطانيّة وتفصلها عن بقيّة الدّول العربيّة والإسلاميّة، وقد جاء في بنود الاتفاقيّة:

١. يعلن الشّيخ محمد بن خليفة حاكم البحرين المستقلّ أصالةً عن نفسه ونيابةً عن ورثته وخلفائه، وبحضور الرّؤساء والكبراء - الذين شهدوا هذه الوثيقة- انضمامه إلى معاهدة الصّداقة والسّلام الدّائم.

٢. لكي يتسنّى تنفيذ الالتزامات السّابقة يوافق الشّيخ على

أن يُطلع بالرّعاية الممكنة المقيم البريطانيّ في الخليج -باعتباره مرجع الفصل في مثل هذه الحالات (!)- على كافّة الأعمال العدوانيّة التي تشن أو قد شنّت بحرًا.

٣. للرّعايا البريطانيّين من جميع الطّوائف أن يقيموا في البحرين ويمارسوا فيها تجارتهم، ويتمتّع هؤلاء الرّعايا وتابعوهم بمعاملة الدّولة الأكثر رعاية وتحال جميع الخلافات التي تنشب بين الرّعايا البريطانيّين وبين أهالي البحرين إلى المقيم البريطانيّ لتسوية الخلافات.

وهكذا باع الحاكم الخليفيّ البحرين لبريطانيا، ضارباً بذلك كل القيم الإلهيّة التي تمنع المسلم من عبادة غير الله والخضوع له.

ونتيجة هذه المعاهدة التي فرضت على البحرين نظام الامتيازات القضائيّة والاقتصاديّة، بدأ البريطانيّون يمارسون الحكم بشكل مباشر فينصّبون ويعزلون ويتصرّفون كيفما شاؤوا. فعندما خالف محمد بن خليفة بعض تعليمات الاستعمار البريطانيّ، عمدت بريطانيا إلى عزله، حيث هرب إلى قطر ونصَّب أخاه «علي» مكانه ووقَّع الأخير «اتفاقيّة الذلّ» مع بريطانيا حيث جاء في بعض بنودها:

١. تسليم جميع السّفن البحرانيّة إلى بريطانيا.

٢. دفع مبلغ ١٠٠ ألف ريال ماريا تيريزا، غرامة إلى المقيم البريطانيّ يدفع منها ٢٥ ألف ريال فورًا ويقسَّط الباقي على ثلاثة أعوام.

٣. يتعهّد الشّيخ «علي» بتعيين وكيل عنه في «بوشهر» لتلقّي تعليمات وإرشادات المقيم البريطانيّ هناك.

وبهذه الاتفاقيّة كشف الحاكم الخليفيّ عن تبعيّته المطلقة لبريطانيا الدّولة الاستعماريّة الكافرة وحقده على الشّعب المسلم الذي رفض هؤلاء الحكّام الغرباء الذين احتموا بالمستعمر لكي يحكموا البلاد بالقوّة والتسلّط.

أمّا الشعب، فقد ثار على هذه الاتفاقيّة، وقام بانتفاضة عامّة ضدّ الحاكم، وفي عام ١٨٦٩م أي بعد أقلّ من عام واحد على توقيع الاتفاقيّة المبرمة استطاعت الجماهير إنزال عقوبة الإعدام على «علي الخليفيّ»، حيث لقى مصرعه على يد الثوّار وتدخّلت بريطانيا عسكريًّا حيث انطلق الكولونيل «بيلي» من «بوشهر» على رأس قوّةٍ حربيّةٍ معها بارجتين وحاملتي جنود وقصفت بالقنابل مدينتي المنامة والمحرق، ونزل الجنود البريطانيّون البحرين واعتقلوا جميع المناوئين للسّيادة البريطانيّة وحاكم آل خليفة ونفوهم إلى «بومبي».

وقد انتقمت بريطانيا لعميلها «الشّيخ علي» بأن قامت بمجازر رهيبة في صفوف الشّعب وأشاعت جوًّا من الإرهاب والرّعب لمدة طويلة ونصَّبت «عيسى بن علي» ابن عميلها السّابق حاكمًا على البحرين في ظلّ حراستهم.

ويصف لوريمر حكومة البحرين في عهد عيسى بن علي: إنّها متسيّبة وطابعها سوء التّنظيم، فهي محكومة من قبل الشّيخ عيسى بن علي في الوقت الحاضر، ويساعده وزير أو مستشار في حلّ المسائل ذات الطّابع السياسيّ أو ذات الأهميّة العامّة، ويحكم بنفسه إلّا إذا كان غائبًا في رحلة صيد، ويقضي أربعة أشهر خلال فصل الصّيف في المنامة بينما يكون مقرّه الرئيسيّ في بقيّة العام في المحرق، ويمارس أقرباؤه: أخوه وأولاده وأبناء أخيه وآخرون من أقربائه سلطاتهم على مناطق مختلفة يملكونها بصفة مطلقة مدى

الحياة، فهم يجمعون الضّرائب من هذه المناطق لخزانتهم الخاصّة ويمارسون القضاء والإدارة على قاطني تلك المناطق، وأهم المناطق التي تتمتّع باستقلال شبه كامل في تلك الفترة هي تلك الواقعة تحت سلطة أخ الحاكم خالد، فهو يملك جزيرتي سترة والنبيه صالح وكل القرى الواقعة في الجانب الشرقيّ من جزيرة البحرين جنوبي خور الكارب وكذلك قرى الرفاع الشرقيّ والغربيّ.

ويصف لوريمر الأوضاع السياسيّة فيقول بأنّه تحت حكم الشّيخ وأقربائه، فإنّ البحارنة الذين يشكّلون الجزء الأكبر من قطاع المزارعين «غير سعداء» فهم يتعرّضون لـ«سخرة» مستمرّة وسيطرة كاملة تنسحب عليهم وعلى قواربهم وماشيتهم، وموقعهم من الأرض هو موقع العبيد وليس المستأجرين الذين يتمتّعون بحريّة. وإذا ما عجزوا عن إنتاج كميّة معيّنة من المحصولات فإنّهم يُطردون من منازلهم وفي بعض الحالات يُضربون ويُسجنون كذلك. وبعض البحارنة هم ملّاك أراضٍ من النّاحية النظريّة، إذ سبق وأن سُمِحَ لهم بشراء بعض المزارع، ولكن ممتلكاتهم يُستولى عليها بدون سبب معقول، وحتى أبناء الحاكم نفسه متّهمون بالظّلم في هذا المجال. ومحصولات البحارنة كثيرًا ما تسرق من قبل البدو الذين يأتون إلى البلاد أو تدمّر من قبل حيواناتهم. ومع أنّه لا يبدو أنّ البحارنة يحكم عليهم بالموت بدون محاكمة أمام

القاضي، إلّا أنّ هنالك ما يدعو للاعتقاد بحصول حالات موت بينهم بسبب المعاملة السيّئة. وكثيرًا ما يُعتدى على نسائهم من قبل خدّام الشّيخ. وإذا ما ظُلِموا أكثر مما يستطيعون تحمّله، فقد يلجأ البحارنة إلى الهجرة إلى واحة القطيف.

عطفًا على ذلك ثارت الجماهير ضدّ «عيسى بن علي»، واستنجدت بالمسلمين في المناطق المجاورة، فتدخّلت بريطانيا من جديد وتوقّف العمل في الميناء وضُربت الجماهير الغاضبة، وحاولت إيقاع الفتنة بين القبائل وتحريض بعضها على بعض، فسارع الشّيخ «عيسى بن علي» الخليفيّ إلى توقيع اتفاقية جديدة مع بريطانيا من بند واحد:

«أنا عيسى بن علي آل خليفة، ألزم نفسي وحلفائي في البحرين، تجاه الحكومة البريطانيّة بالامتناع عن الدّخول في أيّة

مفاوضات أو عقد معاهدات مهما كان نوعها مع أيّة دولة أو حكومة -عدا الحكومة البريطانيّة- بتأسيس وكالات دبلوماسيّة أو قنصليّة أو مستودعات للفحم في بلادنا إلا بموافقة الحكومة البريطانيّة !!!»

ووقَّع اتفاقيّات فرعيّة بشأن وضع الأراضي في البحرين تقضي بأن يكون لبريطانيا الحقّ في إقامة أيّة منشآت ومصادرة الأراضي وما شابه ذلك.

١٣/ مارس/١٨٩٢م:

وقَّع عيسى بن علي الخليفيّ هذا اتفاقيّة أخرى، هي بمثابة صكّ بيع البحرين لبريطانيا حيث جاء فيها :

١. إنّني لن أدخل بحال من الأحوال في أيّة اتفاقيّة أو مخابرة مع أيّة دولة عدا بريطانيا.

٢. وإنّني لن أسمح بإقامة أيّ وكيل لحكومة أخرى في بلادي بدون موافقة الحكومة البريطانيّة.

٣. وإنّني مهما كان السّبب لن أهب أو أبيع أو أُراهن أو أسلّم بأيّة وسيلة أخرى، جزء من بلادي إلّا للحكومة البريطانيّة !![1].

١. لا توجد عبوديّة أكثر من هذا، فهو مستعدٌّ لوهب وتسليم البحرين مقابل لا شيء إلى أسياده الإنكليز

ورغم استسلام آل خليفة للاستعمار بهذا الشّكل المشين والمهين الذي لم يسبق له مثيل في التّاريخ، فإنّ الشّعب قاوم بحكم التزاماته الدينيّة الاستعمار ورفض أن يدخل في أيّة وظيفة في حكم الشّيخ «عيسى» مما اضطرّت معها بريطانيا إلى استقدام مجموعات من الهنود للقيام بالوظائف.

وكما جاء في كتاب «دولة البحرين» الصّادر عن جامعة الدول العربيّة «ص٣٠»، فقد كان عهد الشّيخ عيسى رغم طوله حافلًا بالأحداث فقد أدّت الاتفاقيّات التي أبرمها الشّيوخ والتزموا بها تجاه بريطانيا بكلّ شيء في مقابل لا شيء إلى تصلّب موقف شعب البحرين تجاهها ومطالبته بالحريّات وبضرورة الحدِّ من سيطرة المقيم البريطانيّ وتسلّطه على مقدّرات البلاد والمواطنين.

وفي مطلع القرن العشرين، وفي الوقت الذي كانت الشّعوب تناضل من أجل التحرّر من أشكال الاستعمار فرض آل خليفة اتفاقيّاتهم الاستعماريّة مع بريطانيا على كاهل الشّعب فتركوا

للإنكليز حقّ التّصرف في عوائد الجمارك، وسمحوا لهم بتطبيق التّشريع القضائيّ الكافر على الأجانب حتى القضايا التي يكون فيها النّزاع بين طرف مسلم وآخر أجنبي. كما منحوهم حقّ استغلال ثروة البحرين من اللّؤلؤ والاسفنج والنّفط عام ١٩١١م وكانوا قبل ذلك قد وافقوا على عدم السّماح بتأسيس مراكز للبريد في البحرين لأيّة دولة أجنبيّة ما عدا بريطانيا عام ١٩٠٦م.

وعلى إثر ذلك حدثت انتفاضات جماهيريّة كلّها كانت تُخمد من السّلطات بقوّة الرّصاص.

وفي أثناء الحرب العالميّة الثّانية استخدمت بريطانيا البحرين كقاعدة لحشد الحملة البريطانيّة ضدّ العراق وكان موقف آل خليفة كالعادة ودّيًا مع رغبات البريطانيّين.

وبعد الحرب، أحكمت بريطانيا سلطانها على البحرين بعد أن أطلق آل خليفة فيها وكلاء بريطانيا السياسيّين الذين أمعنوا في التّدخل في شئون البحرين الداخليّة.

أمّا الجماهير المسلمة فقد رصَّت صفوفها من جديد، خاصّةً بعد محاولة الوكيل السياسيّ تطبيق بعض القوانين المدنيّة والجنائيّة التي كان المستعمرون البريطانيّون يطبقونها في الهند على البحرين.

جرائم الخليفيّين بحق الشّعب:

ذكر الدّكتور سعيد الشهابيّ في كتابه(١) أنّه في عام ١٩٢٢م أرسل الميجر ديلي المعتمد السياسيّ في البحرين رسالة تعقيبًا على رسالة المقيم السياسيّ الكولونيل أي. بي تريفور بعنوان أمثلة من ظلم عائلة آل خليفة للرعايا البحرانيّين وهذا نصّها:

١. علي بن سفرة رجل مات قبل عام واحد وترك مبلغ ٤٥٠٠٠ روبية للأعمال الخيريّة كصندوق يديره أحد السياديّين. فما كان من الشّيخ عبدالله أخ الحاكم إلّا أنّ دفع شقيق الفقيد لرفع قضيّة يدّعي فيها أحقيّته في إدارة المشروع الخيريّ، وأرسلت القضيّة إلى القاضي الذي رفض تغيير

١. قراءة في الوثائق البريطانية

الوصيّة خصوصًا وأنّ المدّعي معروف بشخصيّته السيّئة وهو السّبب الذي دفع الميّت لعدم تعيينه أمينًا على الوقف، ولكن الشّيخ عبدالله تجاهل القرار الشرعيّ وأخذ المبلغ بالقوّة من السياديّ وأعطى ٢٠٠٠٠ روبية تقريبًا لأخ الميّت الذي رفع الدعوى، و٢٠٠٠ روبية للخادم الرئيسيّ للشّيخ الذي ساعده في استلاب المبلغ واستولى -الشّيخ عبدالله- على المتبقي. وبطرق ملتوية عديدة أخرى حصل الشّيخ عبدالله على مبلغ كبير من الإرث الذي ترك للورثة.

٢. هناك قطعة أرض يملكها أبناء محسن سيسي، باع الشّيخ عبدالله هذه الأرض لشاهين الشّوملي بمبلغ ٣٥٠٠ روبية، وقد اشتكى المالكون عدّة مرّات للحاكمين ولكن لم تسمع شكواهم.

وقبل بضعة أسابيع قرّروا رفع شكوى مشتركة للمعتمديّة، وسمع الشّيخ عبدالله ذلك ودعى إلى اجتماع لبعض أصدقائه للنّظر في القضيّة رغم أنّه كان من المفترض أن يبتعد عن كل الشّؤون الاجتماعيّة، فأمر المدّعين بدفع ٥٠٠ روبية لشاهين الشوموليّ كتعويض ومن ثم يسترجعون أرضهم. وكلا الطرفين غير راضي الآن عما حدث. فأصحاب الأرض دفعوا ٥٠٠ روبية مقابل

استرجاع أرضهم بينما الآخر دفع ٣٠٠٠ روبية مقابل لا شيء.

٣. إنّ الشّيخ عبدالله يحتفظ بعاهرة اسمها مسعودة، وهي يهوديّة استدرجها لذلك العمل وكانت خليلته لبعض الوقت، وكان له مع هذه المرأة ترتيب معيّن تقوم بمقتضاه باستدراج شباب من العوائل المحترمة إلى بيتها، وهناك يهجم عليها فداويّة الشّيخ عبدالله ثمّ يطلب منهم دفع مبالغ كبيرة في مقابل عدم الكشف عن القضيّة وعدم سجنهم. ويقال بأنّ مبالغ كبيرة قد تمّ الحصول عليها بهذه الطّريقة.

٤. خلال موجة الحرّ الماضية اختطفت زوجة خيّاط من السّنابس واحتجزت عدّة أيّام في بيت الشّيخ عبدالله. وهدّد الزوج -مع العلم بأنّه لا يستطيع الشّكوى إلّا لدى الشّيخ عبدالله نفسه الذي هو الحاكم المطلق للسّنابس-.

٥. إنّ الشّيخ عبدالله هو حاكم قرية جدحفص ووزيره هناك شخص اسمه عبدالله بن رضي. ويقوم هو وزوجته بتصريف شؤونه هناك. وقد أجبر العديد من النّساء على زيارة الشّيخ في بيت الوزير. وقد اختطفت ابنة. . . . .

. . . وحُبِسَت هناك عدّة أيّام، وكذلك ابنة. . . . . .
وفي كل حال تمّ تهديد الآباء مع العلم بأنّهم لن يحصلوا على حكم عادل في كل الأحوال، وفضّل الآباء كذلك عدم فضح المسألة حفاظًا على شرف العائلة وسمعتها. ومنذ ذلك الوقت قام آباء هاتين البنتين بإرسالهما إلى القطيف كلّ عام عندما يحين موعد زيارة عبدالله لجدحفص، والقضيّة معروفة في المنطقة.

٦. كان هناك عُرف يحصل بمقتضاه الشّيوخ على ضريبة على اللّؤلؤ الذي تزيد قيمته على ١٠٠٠٠٠ روبيّة في قوارب البحرانيّين فقط، ويقوم كلّ قارب بدفع هذه الضّريبة. وفي العام الماضي اشترى أحمد بن خميس لؤلؤة بمبلغ ٤٠٠٠٠٠ روبية في القطيف التي لا تقع ضمن حدود البحرين، وعندما جاء بها إلى البحرين لبيعها أرسل عبدالله رجاله لطلب الضّريبة منه، وخطّط بعد ذلك عملًا لاعتقاله وأخذ اللّؤلؤة منه ولكنّه (أحمد بن خميس) نجح في الهرب فلجأ إلى المعتمديّة حيث مُنِحَ الحماية من قبل المعتمد السياسيّ آنذاك الميجر ديكسون، أمّا الآخرون الذين أُجبروا على دفع هذه الضّريبة فهم: الحاج حسين المدحوب، الحاج متروك

عبدالله أبوديب، علي بن حسين الحايكي، الحاج جواد.

٧. ليست هناك ضريبة على الموتى في البحرين ومثل هذه الضّريبة ممنوعة شرعًا. وعندما مات أحمد يوسف محمود تاركًا ٢ لَك (٢٠٠٠٠٠) روبية فرض الشّيخ عبدالله ضريبة قدرها ٢٠٠٠٠ روبية بدون حقّ، ثم سعى بطرق ملتوية لإحداث خلاف حادّ بين الورثة حصل من جرائه على حوالي نصف الإرث «خدمةً» أو تكاليف محكمة التي هي الآن معروفة بـ١٠٪.

٨. قام الشّيخ عبدالله بالاستيلاء على قطعة أرض عليها بعض العقار يملكها عبدالرسول بن الحاج حسين من السّنابس بدون أي مبرّر وأعطاها لإحدى خليلاته التي تعيش الآن هناك.

٩. عندما مات الحاج خلف السّرو وضع الشّيخ عبدالله يده على ممتلكاته ولم يفرج عنها إلّا بعد أن دفع الورثة مبلغ ١٠٠٠ روبية. ومعروف بأنّه لم تكن له أيّ دعوى في هذا العقار.

١٠. استولى الشّيخ عبدالله على بيت الحاج أحمد بن شعبان من السّنابس بدعوى زائفة وما يزال مسيطرًا عليه.

١١. قام خدم الشّيخ عبدالله باختطاف بنت وهي مواطنة من فارس. وعندما عجز والداها عن العثور عليها رجعا إلى المنزل وتركا شخصًا اسمه عبدالله ليستمر في البحث، واكتشف أنّها موجودة لدى الشّيخ عبدالله الذي قام بتسليمها لشخص من الزلّاق مقابل ٤٠٠ روبية، وحاول محمد عبدالله بالنّيابة عن والدي البنت باسترجاعها، وحصل عليها بعد أن دفع ٥٠٠ روبية بشرط أن يتزوّجها هو نفسه وكانت حاملًا وماتت أثناء الولادة.

١٢. قام الشّيخ عبدالله باختطاف بنت. . . . . من الحورة ممّا أدى إلى انزلاقها إلى مهنة الدعارة.

١٣. واختطف ابنة خالد بن قاسم.

١٤. تزوّج بن كاظم بامرأة من الكويت وذهب في عمل إلى القطيف، وعند رجوعه وجد أن بيته قد نهب وزوجته قد اختفت، وفي وقت لاحق وجد زوجته مع شخصين منحرفين معروفين وعندما طلب رجوعها أخبر بأنّها سلمت لهما من قبل الشّيخ عبدالله للاحتفاظ بها. وذهب إلى الشّيخ عبدالله الذي أخبره بأنّه لا يستطيع استرجاعها، واشتكى مؤخّرًا إلى المعتمديّة عن ضياع

أمتعته ويقال بأنّ الشّيخ عبدالله رشاه لكي يبقى اسمه خارج القضيّة.

١٥. كان محمد بن الشّيخ عبدالله يعمل على استدراج بنت علي الدوي، وهو تاجر معروف في المحرق، ولكنّه فشل، وفي إحدى اللّيالي أمسك بالبنت في أحد الشوارع الفرعيّة ومعه خدمه وأغلقوا الشارع من طرفيه، ثم قاموا باغتصاب البنت. وحاول الأب الإبقاء على سمعة العائلة وشرفها بالسّكوت لعلمه بأنّه لن يحصل على شيء فيما لو طلب محكمة للقضيّة، والقضيّة معروفة الآن بشكل واسع.

١٦. قبل ستة أشهر قام حمود بن صباح وهو أحد أفراد العائلة الحاكمة بقتل الحاج حسين العريبي في قرية توبلي وحاول قتل زوجته وابنه وابنته الذين أصيبوا بجراح خطيرة، ورغم أنّ الابن كان مريضًا جدًّا فقد أرسل إليه الحاكم لاستجوابه ثمّ وضعوه بالسّجن. وبعد التّهديد أطلق سراحه وذهب إلى المستشفى حتى شفي، ومؤخّرًا وجهت إليه التّهديدات بالسّجن إذا لم يوقع على ورقة بأنّ حمود بن صباح لم يقتل والده أو يجرح بقيّة أفراد عائلته، وخلال زيارة المقيم الأخيرة إلى البحرين طلب

مقابلته وأعطي حماية مؤقّتة حتى يتمّ التّحقيق في القضيّة -وفي مثل هذه الحالات فإنّ الشهود يخافون جدًّا من الإدلاء بشهاداتهم-،وحلف اليمين بأنّه رأى حمود بن صباح يقتل أباه أمام عينه ثم حاول إطلاق النّار عليه وجرح من قبل شخص آخر بخنجر.

١٧. قام خادم محمد وهو الابن الآخر للحاكم بقتل ابن الحاج مهدي بن زينل من جدحفص في السّوق الشعبيّ وفي وضح النّهار، وقد اعتقل القاتل ولكنّه أفرج عنه، وهُدّد الأب بأنّه هو الآخر سوف يقتل إذا استمر في شكواه. وقد طرح الأب قضيّته أمام المعتمد السياسيّ مؤخّرًا.

١٨. ارتكبت جريمة قتل سياسيّ مؤخّرًا في سترة وأخرى بالقرب من النّعيم، ولم يعتقل سوى أقارب المغدورين الذين هدّدوا لكي لا يشتكوا.

١٩. إنّ الشّيخ خالد أخ الحاكم الذي يتمتع بحقوق مطلقة في سترة يأخذ «ربعة» (٤ أرطال) من السّمك يوميًّا من كلّ مواطن أو ثمنها نقدًا ويباع هذا السّمك إلى شخص آخر اشترى «حقّ الامتياز». وهناك ضريبة مقدارها ٢ روبية على كلّ منسم فرضها على النّاس. وقد قام هذا

الشّخص بفرض ضريبة مقدارها ٢٥ روبية على كلّ شخص مؤخّرًا بدون أن يكون هناك أيّ سبب. . ومصدر آخر لمدخول هذا الفرد من العائلة الحاكمة هو أن يطلب من الرّعايا الشّيعة العمل خلال فترة ٧ - ١٠ محرم وهي الفترة التي يمتنع فيها هؤلاء عن العمل وإذا لم يقبلوا بذلك يطلب منهم دفع مبالغ مقابل ذلك. ويطلب من النّساء المشاركة بعلف لحيواناته من مزارع أزواجهن وقد قام أبناؤه باحتجاز عدد من النّساء لأغراض غير أخلاقيّة.

٢٠. قبل شهر واحد عثر على جمل صغير ضائع من جمال الشّيخ وهو ميّت خارج إحدى القرى، وهناك دوافع للشكّ في القتل العمد، ولكن غرامة قدرها ٥٠٠ روبية فرضت على القرية ومن لا يستطيع دفع ذلك فعليه أن يذهب لحلف اليمين بأنه لم يقتل الجمل. وهذا يعني خسارة يوم كامل لمئات من النّاس وكان بالإمكان أن تعطى اليمين في المنامة ولكن هذا التّنازل لم يعطَ بعد لهم ولم يفصل الحاكم في القضيّة بعد.

٢١. أرسل الشّيخ عبدالله بطلب ابنة شخص اسمه علي البصريّ ولكنّ والدها رفض إرسالها إليه، ولكن أمّ الشّيخ عبدالله التي أعلنت نفسها مؤخّرًا «ملكة البحرين»

أرسلت إلى والدة البنت طالبة إرسال ابنتها أو مغادرة البحرين مباشرة، وأقنعت البنت لاحقًا بتزوّج أحد خدّام الشيخ ولكنّها وضعت بعد ذلك في أحد بيوت الشّيخ عبدالله كخليلة.

٢٢. قام بعض الرّجال الذين يقومون برعي جمال زوجة الشّيخ بخطف ولد من خارج إحدى القرى وقاموا بممارسة أعمال غير أخلاقية معه، واحتج القرويّون وقالوا بأنّهم سيقدّمون احتجاجهم لـ «الملكة « وعندما فعلوا ذلك قامت تلك المرأة بسجن ١٢ من رؤسائهم ورفضت رفع القضيّة للمحكمة، وبعد فترة أفرجت عنهم بعد دفع غرامة قدرها ٢٥٠ روبية.

٢٣. رفض أحد البحرانيّين استئجار إحدى مزارع الشّيخ بعد أن قرّر رفع ثمن الإيجار قبل انتهاء مدّة الاتفاقيّة الحالية وأخذ مزرعة أخرى لمواطن من القطيف، فأقيمت دعوى مزيّفة بالكامل ضدّه (ولم يكن هو نفسه على علم بهذه الدعوى ولكن دعوى أقيمت عليه بعد الإفراج عنه) وسجن لمدّة شهر واحد وفرضت عليه غرامة مقدارها ٥٠٠ روبية ومنع من العمل لدى المواطن القطيفيّ. وبمعنى آخر فقد أجبر على استئجار مزرعة الشّيخ مرّة أخرى.

٢٤. إنّ عمل السخرة وقيادة القوارب والحيوانات للنّقل كلّها أحداث يوميّة، وقيادة النّقل والعمل الإجباريّ معروفان بـ «السخرة « وكان في السّابق امتيازاً للحاكم فقط، ولكنّه الآن يمارس من قبل كلّ فرد من أفراد العائلة الحاكمة ومن يتحالف معهم ويبلغ عددهم جميعًا حوالي ١٥٠ شخصًا مما يسبّب مشقّة جديدة للمواطنين. إنّ الأوضاع التي يسجن فيها النّاس سيّئة للغاية(١).

التّوقيع
الميجرأي. إيه (ديلي)

وفي رسالةٍ أخرى من المعتمد السياسيّ في البحرين كتبها للقيم بتاريخ ٨/يناير/١٩٢٣ يقول فيها:

«لقد تألّمت لاكتشاف أسباب عدم الاستقرار خلال السّنوات الأخيرة والتي أعتقدها كما يلي:

١. الزّيادة الكبيرة في ثروة العائلة الحاكمة النّاتجة عن

١. الجرائم المذكورة في هذه الرّسالة قطرة في بحر، لم ينفرد عبدالله وحده ولم يكن الأوّل أو الأخير في تنفيذ هذه الجرائم دون غيره من الخليفيّين فقد كانت هذه سيرتهم في التّعامل مع أبناء الشّعب منذ اليوم المشؤوم لاحتلالهم أرض أوال وحتى السّاعة.

تحسين نظام الجمارك والاستيلاء على ممتلكات البحرانيّين بالقوّة.

٢. ازدياد قدرة الحكّام على ممارسة الظّلم نتيجة لذلك.

٣. متابعة البحرانيّين لأحداث السّنوات الأخيرة في العراق والهند ومصر، وسفر المواطنين إلى الخارج وما ينتج عن ذلك من اطّلاع وتنوّر.

٤. السّياسة القمعيّة للحكّام الذين هم أكثر جهلًا وأقلّ سفرًا من غالبيّة رعاياهم، ولم يقوموا بأيّ خطوات لتثقيف كوادر عائلتهم.

٥. تأثير الجرائد التي ازداد استيرادها منذ نشوب الحرب العالميّة الأولى، وقد طوّرت هذه الجرائد الأفكار الديمقراطيّة التي عارضها نظام الشّيوخ الأوتوقراطي(١).

٦. مجيء الأجانب إلى البلاد في كلّ موسم من مواسم الغوص».

بعض جرائم إبادة الخليفيّين:

ذاكرة الشّعب الأبيّ لا زالت تحوي على صور ومشاهد

١. يستاء المعتمد الإنكليزيّ من زيادة وعي الشّعب!!، ليس غريبًا ذلك، لقد أرادوا شعبًا لا ينتفض.

لأشكال متنوعة من اضطهاد الخليفيّين للشّعب البحرانيّ الأصيل من سرقة التّمرة وحتى إبادة القرى، من هذه الجرائم:

وقعة كربلاء:

صاحب كتاب أنوار البدرين يروي عن هذه الوقعة في كتابه فيقول: «رأيت في هذه الجزيرة [جزيرة النّبيه صالح] مدرسة كبيرة خرابًا تسمّى مدرسة الشّيخ داوود وينقل أهل هذه الجزيرة أنّه قتل في بعض الوقائع في تلك المدرسة أربعون أو سبعون عالمًا ومشتغلًا كلّهم شهداء، ولهذا يسمّونها الآن بكربلاء، رحم الله من قُتل فيها من العلماء الصالحين»(١).

١. أنوار البدرين، ص٦٠

مذبحة السّادة ووقعة بربورة:

يذكر المرحوم الحاج حسين بن محمد القصاص الفرساني أنّ السّادة الشّهداء في قرية بربورة هم من آل النبيّ صلّى الله عليه وعلى آله وعددهم خمسة سادة كانوا مشهورين وقد قتلوا في وقت واحد وتحديدًا قبل صلاة الفجر ويذكر أنّهم كانوا معروفين عند أهل بربورة والقرى المجاورة ويقول أنّ هؤلاء السّادة كانوا وجهاء وزعماء في قرية بربورة وكان لقتلهم وقع عظيم وكبير في نفوس النّاس وأهل البحرين وبعد مقتلهم هرب الكثير من أهل بربورة إلى البصرة وبعضهم إلى مناطق متفرقة في البحرين وخارجها وكان أبرزهم السّادة الثّلاثة السيّد حسن الذي يُطلق عليه المتولّي أيّ المتولّي أمور وشؤون بربورة والثّاني السيّد محمد أبو خريص والثّالث السيّد ابراهيم وسيّدان لم نحصل على أسمائهم، وبعد مدفنهم بقي النّاس يقصدون قبورهم ويزورونهم ويضيف أنّهم قتلوا على يد السرّاق -الأجانب عن أرض الوطن- الذين يهجمون في أنصاف اللّيل ليسرقوا أهل القرى ويبدو أنّ المجرمين كانوا يقصدونهم كأشخاص محدّدين.

ويذكر بعض كبار السن ومنهم الحاج علي بن كاظم النويدريّ أنّ وقعة بربورة وقعت بين (العين والكوكب) ويقصد العين العودة شرقًا وكوكب مسعود غربًا، وتحديدًا شرق مسجد مؤمن، ويذكر الحاج حسين بن محمد القصّاص أنّ هذه الواقعة قُتِلَ فيها عدد كبير وكلّهم من السّادة العلويّين وقام أهل بربورة بدفنهم في موقع استشهادهم، ويُضيف أنّ قبورهم كانت بارزة وواضحة حتى فترة السّتينات تقريبًا لكنّها اندثرت واختفت بين الأحراش والنّخيل بعد أن أهملت بسبب هجرة أهل بربورة، ويقول أنّهم قتلوا في نفس الفترة التي قتل فيها السيّد حسن البربوري والسيّد محمد أبو خريص البربوري البحرانيّ الذي يقع قبره في وسط مضعن بربورة أيّ في الجهة الجنوبيّة من مسجد مؤمن وقتل أيضًا معهم السيّد ابراهيم الذي يقع قبره قرب بيت بن سند والمسجد الجنوبيّ الغربيّ وكانوا كلّهم وجهاء وسادة لهم مكانة دينيّة واجتماعيّة وخصوصًا السيّد محمد أبو خريص والسيّد حسن البربوريّ البحرانيّ(١).

وقعة حلة السّيف:

قال أحد المعمّرين من قرية القلعة واسمه «الحاج أحمد» أنّ سبب هجرة أهل هذه القرية هو رجل من المتنفذين اسمه

١. سنوات الجريش (http://www.jasblog.com)

..... ، في أحد الأيام بينما كان هذا الشخص يتنزّه بالقرب من حلّة السيف، لمحت عيناه إحدى الفتيات من القرية المذكورة، وبينما كانت تلك الفتاة تعبر من فوق سور بان شيء من رجليها البيضاء فأعجبته الفتاة وذهب إلى أهل القرية طالبًا منهم تلك الفتاة لتبيت معه تلك الليلة فقال أهل الفتاة: نزفها إليك. فقال لهم: لا أريد زفافًا بل أريد الفتاة بلا زواج وإذا لم تسلّموني الفتاة سأحرق قريتكم بما فيها فطلبوا منه أن يأتي ليلًا لأخذها مبرّرين ذلك بحجّة تجهيز البنت له، فقَبِل على أن يأتي في تلك اللّيلة لأخذ الفتاة، وبقي أهل القرية يفكّرون في الموضوع، وبينما هم على حالهم من التفكير والحزن، وإذا بثلاث سفن لأهل القطيف تتوجه نحوهم، حيث كان أهل القطيف من معارفهم وكانوا يتردّدون ويتنقلون بين القطيف والبحرين، وكانوا يزورونهم وتربطهم بهم عدّة علاقات، ولما وصلوا إلى ساحل قرية حلّة السّيف، رأوا أهلها على تلك الحالة من الحزن والخوف فسألوهم عن السّبب، فسرد أهل القرية القصة عليهم، فاقترح عليهم أهل القطيف أن يفرّوا من القرية معهم بالسّفن والالتحاق بهم بالسّفن المملوكة لبعض الأهالي وينزلوا عندهم بالقطيف، فاستحسن أهل القرية الفكرة وصعدوا معهم مصطحبين معهم ما أمكن من أمتعتهم ومن حيوانات كالدجاج والأغنام، فلم يبقى في القرية إلا ثلاثة من أبناءها لينظروا

في أمر المتنفّذ الذي توعّد بحرق القرية، ولما جاء الموعد المتفق عليه، وصل المتنفّذ إلى القرية فاستقبلوه وقالوا له تفضّل للمنزل فقال لهم أريد الفتاة دون تأخير، فقالوا له: تفضّل ريثما تجهز ونزفّها إليك، فردّ عليهم: قلت لكم لا أريد زفافًا ولا زواج. ثم دخل معهم للمنزل وبينما هو ينتظر خرجوا من المنزل وأقفلوا عليه الباب من دون أن يشعروفرّ الثلاثة في زورق قد أعدّ لهم مسبقًا وصاروا يجدّفون وبينما هم كذلك نفذ صبر المتنفذ، فقام محاولًا الخروج فوجد الباب مقفلا فعرف أنّها مكيدة وقع فيها فأراد فتح الباب بكل قوّة وبعد أن تمكّن من فتح الباب وجد أنّ الثّلاثة قد ابتعدوا بالزّورق عن السّاحل وكان المتنفّذ يملك مسدس -فشقة- فأطلق عليهم ولكنّ الرّصاص لم يصل إليهم حيث أن المسدّسات القديمة لم تكن ذات مدى بعيد وبعد أن فرّوا من يده ناجين بأنفسهم ما كان من المتنفّذ إلّا أن جاء برجاله وقاموا بحرق تلك قرية التي تحوّلت إلى رماد(١).

وقعة مأتم الفارسيّة:

هي وقعة استشهد فيها العديد من أهل الفارسيّة في ليلة التّاسع من شهر محرم وذلك إثر تعرّضهم لغارة من قبل البدو

١. سنوات الجريش (http://www.jasblog.com)

في الوقت الذي كانوا يقيمون فيه شعائر العزاء في مأتم الفارسيّة ويذكر بأنّ الدّماء سالت من أسفل الباب إلى خارج المأتم وهذه الواقعة ذكرت في بعض الكتب القديمة وهي مشهورة لدى أهل المنطقة(١).

وقعة الفارسيّة الأخيرة:

وقعة الفارسيّة الأخيرة وقعت في أواخر العام ١٩٢٥م وقد تسبّبت هذه الوقعة في تشريد آخر من تبقّى من أهل الفارسيّة وسدل الستار إيذانًا بنهاية مأساويّة لقرية بحرانيّة لها تاريخ ممتدّ.

مفاد الحادثة أنّ أحد أهل الفارسيّة وهو محمد بن يوسف بن قمبر كان يملك صرمة نخيل في الفارسيّة، والصّرمة كانت مجاورة لنخيل يملكها أحد الإقطاعيّين المعروفين بظلمهم للفلّاحين والمزارعين وقد قام بالاستيلاء على العديد من النّخيل والأراضي من أصحابها الفقراء والمستضعفين لذا كان الجميع يتّقون شرّه ويجاملونه خوفًا على أنفسهم وأهليهم وأملاكهم من سطوته وسطوة فداويته، هذا الاقطاعيّ العجوز كان يسكن في منطقة الرّفاع وفي كلّ مرّة يزور فيها قرية الفارسيّة لمعاينة أملاكه من النّخيل المنهوبة والمزارع المغتصبة من الفقراء كان يأتيه بعض الفقراء والضّعفاء

١. سنوات الجريش (http://www.jasblog.com)

للسّلام عليه ومجاملته ولا سيما الذين كانوا يتضمّنون بعض النّخيل منه وهم أصحابها في الأصل، ولكنّ أناسًا كانوا يتجاهلونه ومنهم محمد بن يوسف بن قمبر، وذات يوم اتهم ذلك الاقطاعيّ محمد بن يوسف بأنّه يسدّ مجرى النّهر عن نخيله وكان مجرى النّهر يمتدّ من عين الفارسيّة إلى نخيل المزرعتين ومنها مزرعته، فهدّد وتوعّد بتأديب محمد بن يوسف، وفي ليلة من ليالي الفارسيّة المظلمة هجم الاقطاعيّ برجاله وفداويته على أهل الفارسيّة وقصدوا برستج محمد بن يوسف، وعندما اقتربوا من برستجه سمع محمد بن يوسف صهيل الخيول وأصوات أقدامهم بالقرب من برستجه فاختبأ بين كومة من الأخشاب والسّعف الموجود في برستجه، في هذه الأثناء أحسّ أخيه قمبر بن يوسف بوجودهم وكان برستجه مجاورًا لبرستج أخيه وظنّ أنهم يقصدونه لذا قام بفتح ثقب في سقف البرستج وخرج من خلف البرستج وسط الظّلام دون أن يشعروا به ولم يكن يعلم أنّهم يريدون أخاه محمد بن يوسف، وبعد أن هجموا على برستج محمد بن يوسف خرجت لهم زوجته فسألها أحد الفداوية عن مكان زوجها فلم تخبرهم، في هذه الأثناء لم يستطع محمد بن يوسف الصّبر عليهم وهم يقفون داخل بيته فنهض من بين الأخشاب والسّعف وتعارك معهم باليد وكان كما يوصف قوي البُنية وسريع الغضب فتجمّعوا عليه وبعد عراك

شديد استطاعوا تقييد يديه ورجليه، فأخرجوه من برستجه وسحبوه إلى برستج والده يوسف بن قمبر ووضعوه أمام والده فوجدوا أنه لم يلن أمامهم وهو مقيّد بالحبل رغم كثرتهم، حينها لم يجدوا وسيلة لهزيمته والانتقام منه إلا عبر البندقية التي سدّدوها نحو صدره وأطلقوا عليه النار أمام والده، ويذكر المرحوم الحاج حسين بن إبراهيم العقش نقلًا عن المرحوم والده إنهم طلبوا منه (البراءة) فلم يتبرأ واختار أن يسقط شهيدًا ولا يقرّ بالبراءة، بعد أن أطلقوا عليه النّار دوّى صوت الرّصاص في الفارسيّة، بعد أن سمع النّاس دوي الرّصاص استيقظوا من نومهم وخرجوا من بيوتهم ليعرفوا مصدر الرّصاص وكان من بين الذين خرجوا إلى الطّريق الشّهيد عبدالله بن حسن بن عتيق الذي كان نائمًا فأيقظته زوجته فخرج إلى الطّريق فشاهده الفداوية فأطلقوا عليه النّار فأصابه الرّصاص في خاصرته وبطنه فسقط شهيدًا قرب بيته فذهب له أخيه علي بن حسن بن عتيق وهم بحمل أخيه إلى بيته لعلاجه فأطلقوا عليه الرّصاص أيضًا فأصيب في رجله وكتفه، لكنّه بقي حيًّا وزحف إلى خلف جدران البرستج في الظّلام، وحينها غادر الفداوية قرية الفارسيّة وهم يطلقون النّار في كلّ الاتّجاهات(١).

الحمدلله رب العالمين

١. سنوات الجريش (http://www.jasblog.com)